الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة الرابعة والثلاثون
ربيع الثاني ١٤٤١ هـ - ك١ ٢٠١٩م

العدد
٣٩٩

الحَراك في لبنان:
ما بين أسبابه الظاهرة وأسبابه الحقيقية الكامنة وراءه

- إقامة أحزاب سياسية مبدؤها الإسلام فرض من الله تعالى على المسلمين (١) ص٢١
- الصراع الدولي وشقاء البشرية... من ينقذ العالم من الانحدار للهاوية؟! ص١٧
- الديون الخارجية الربوية... من أساليب استعمار الغرب للشعوب ص ١٠

جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

- كلمة *الوعي*: الحراك في لبنان:
  ما بين أسبابه الظاهرة وأسبابه الحقيقية الكامنة وراءه ٣
- الديون الخارجية الربوية... من أساليب استعمار الغرب للشعوب ١٠
- الْعُقْدَةُ الْكُبْرَى... والانتماء الحقيقي للحضارة الإسلامية! ١٣
- الصراع الدولي وشقاء البشرية... من ينقذ العالم من الانحدار للهاوية؟! ١٧
- إقامة أحزاب سياسية مبدؤها الإسلام فرض من الله تعالى على المسلمين (١) ٢١
- حسبك بأمر يأبى الله إلا أن يتم ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ٣٠
- أخبار المسلمين في العالم ٣٤
- مع القرآن الكريم:
  ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ ٣٨
- رياض الجنة: إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ ٤٣
- حدائق ذات بهجة: **وكان ﷺ أشجع الناس** ٤٥
- فبهداهم اقتده: ربيعة بن كعب ٤٧
- قصيدة: محاريب الفكر ٥٠
- عقد «المؤتمر المسيحي العربي الأول» في باريس لمواجهة الأكثرية العربية السنية ٥١

العدد ٣٩٩
السنة الرابعة والثلاثون
ربيع الثاني ١٤٤١ هـ
كانون الأول ٢٠١٩م

ثمن النسخة

لبنان	١٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

الحراك في لبنان:
ما بين أسبابه الظاهرة وأسبابه الحقيقية الكامنة وراءه

تفجرت (الثورة) في لبنان لتنضم إلى شقيقاتها من (الثورات) في المنطقة، معلنة رفض الناس للواقع السياسي والمعيشي الذي يُتهم الحكام بتسببه، وكان شعارها الأبرز الذي أعلنته «كلن يعني كلن» ويعني أن الشعب يريد إسقاط السلطة الحاكمة كلها من أولها إلى آخرها، لا فرق بين من هو في المعارضة أو في الحكم، واستعادة الأموال المنهوبة منهم. وهو شعار يوازي الشعار الذي رفعته الثورات الأولى التي انطلقت سنة ٢٠١١م وهو (الشعب يريد إسقاط النظام) ولا يختلف عن سائر الشعارات التي أطلقت مؤخرًا في السودان والجزائر والعراق من مثل: (تسقط بس) أي تسقط الحكومة فقط، و(سلمية سلمية ضد الحرامية) و(الشعب يريد إسقاط الأحزاب) أي الأحزاب التي تتداول الحكم في العراق، و(اتفقنا على أن لا نتفق معكم) أي الحكام والأحزاب الحاكمة.

ما بين تسميتها (ثورة) أو (حَراكًا)، فقد كان الحراك في لبنان عابرًا للطوائف، جمع الناس من كل طيف ليثوروا على حكامهم من كل طيف. وهو قام ضد طبقة الحكم السياسية كلها (معارضة وموالاة) لتعبر عن معاناة الجميع معاناة حقيقية في المعيشة وعلى كل صعيد، وتكشف تقصيرًا للدولة فاضحًا في تقديم الخدمات، واستهتارًا بتأمين أقل ضرورات الحياة، وتحمِّل حكام البلد مسؤولية ذلك متهمة إياهم بالتصرف في البلد وكأنه مزرعة لهم، وأن اعتداءهم على مصالح الناس واستهانتهم بكراماتهم قد طغا حتى طفح الكيل ولم يستطيعوا معها أن يتحملوا المزيد، وقد اتهموا الطبقة الحاكمة بالفساد واختلاس المليارات من المال العام ونهبه، وإيصال البلد إلى الإفلاس طالبة بمحاكمتهم واسترجاعه...

وهذه الكلمة لن تركز على التحليل السياسي لواقع هذا الحراك ومجرياته، وإنما ستركز على الأسباب الحقيقية التي أدت إلى اندلاعه. وهذه الأسباب إذا لم تدرك فسيضيع هذا الحراك، وسيتلقف ثمارَه أعداؤه، وستراوح الأوضاع المعيشية السيئة مكانها، أي سيسقط في اليد الأخرى للذين قام الحراك ضدهم، وبالتالي لن يغير من الواقع السيئ شيئًا. فإدراك هذه الأسباب وأخذها بعين الاعتبار في التحرك هو الذي سيجنبه الوقوع في هذا الزلل.. فهذا الحَراك ابتدأ مخلصًا،

وهذا أمر يحسب له؛ ولكن كما درجت العادة، فهناك من سيحاول خطفه، وهؤلاء يمتلكون باعًا طويلًا من المكر والكيد، وقد نجحوا من قبل في إجهاض الثورات عن طريق ما سمي بـ (الثورات المضادة)، وكانوا مما تسمَّوا به خداعًا (أصدقاء الثورات). فتدرع القائمين على الحَراك بالوعي الحقيقي سيمكنهم من معرفة العدو من الصديق. وسيجعلهم يعلمون ويتعاملون مع حقائق الأمور لا مع ظواهرها، ومع لبِّها لا مع قشرتها. وسنتناول في هذه الكلمة ثلاثة أسباب هي:

أولًا: إن من يقوم بمثل هذا الحراك رافضًا للواقع السياسي الذي يعيشه وللسياسيين الذين يحكمونه، لا بد له من أن يكون في رأس سلم مطالبه البحث عن النظام الصالح الذي يستطيع تأمين حياة جميع الناس بشكل صحيح. فلا يجب أن يأخذه استشراء ظلم السياسيين عن التفكير في سوء النظام الذي يحتكم إليه. فالمطلوب الأول من الناس هو البحث في هذه النقطة الأساسية، وأن لا يشغلهم الواقع السيئ الذي يعيشونه عما يمكن أن يكون هو سبب إيجاده. فهو إن انشغل بمعالجة الواقع السيئ فقط، يكون قد انشغل بمعالجة النتيجة دون معالجة السبب، وإن انتبه إلى وجود المشكلة بالنظام يكون قد تعامل مع السبب الذي أوجد هذا الواقع السيئ الذي ثار عليه؛ وعليه فيجب أولًا البحث في النظام الدستوري هل هو صحيح أم لا.

أما بالنسبة لنظام الحكم في لبنان هو نظام ديمقراطي ويراعي التوزيع الطائفي، وهذا النظام فاسد من هاتين الجهتين:

١- جهة كونه ديمقراطيًا وهذا يتطلب البحث في فساد فكرة الديمقراطية على الصعيد الفكري، وفشلها على صعيد تطبيقها في العالم. فالديمقراطية هي سبب، ليس فشل الحكم في لبنان فقط بل في العالم أجمع، والفكر الديمقراطي الذي يحكم العالم اليوم، هو المسؤول عن كل المآسي التي تطال العالم، وهو المسبب لشقاء البشرية ولانتشار الحروب والفقر والظلم وتحكم الغني بالفقير وإفراز طبقة حكم فاسدة متغوِّلة في كل بلد من بلاد العالم وليس في منطقتنا فقط، وطبقة رأسمالية تتحكم بمفاصل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، تبدأ من حكام الدول الرأسمالية نفسها وتمتد إلى حكام منطقتنا عبر عمالتهم لحكام الغرب واتخاذهم أسلوب الاستعمار المقنع. وسنأتي لاحقًا على ذكر تأثير هذا الجانب على حياة الناس في لبنان...

٢- جهة كونه يراعي التوزيع الطائفي في الحكم والمحاصصة، وهذا ما زاد الأمر سوءًا؛ إذ إنه، فوق كون نظامه نظامًا ديمقراطيًا فاسدًا، جعل من لبنان بلد محاصصة طائفية بامتياز، وزاده سوءًا كذلك أنه بدل أن تتوزع الحصص على الكفاءات في الطوائف، توزعت على المحسوبيات التابعة لزعماء كل طائفة، واختصرت الطائفة بزعيمها ومن هو تابع له نهبًا ومحسوبيات، وحصرت

المنافع بهم مع حرمان باقي أفراد الطائفة منها...

وهنا لا بد من التذكير بأن النظام الطوائفي في لبنان هذا اصطنعته دولة فرنسا الديمقراطية الرأسمالية من أجل أن تضمن مصالحها في المنطقة، وهنا نذكر الناس بما قاله غورو في فترة تأسيس لبنان من أن فرنسا وجدت طوائف في لبنان وهي التي أوجدت دولة لهم. فالطائفية صناعة غربية بامتياز، وها هو العراق مثل حي أمامنا؛ إذ يعيش اليوم في نظام طائفي اصطنعته أميركا لتضمن تقسيمه متى أرادت والتحكم فيه وإبقائه ضعيفًا، وإثارة المذهبيات بين فئاته بشكل دائم لتمنع وحدتهم على أساس الإسلام. وكلنا يقرأ كيف أن كلًا من بريطانيا وفرنسا هما من بثتا الفتن الطائفية في أركان الدولة الإسلامية زمن العثمانيين فيما سمي بالمسألة الشرقية والمسألة البلقانية، ثم دخلت على هذا الخط سائر الدول لتضرب فكرة الرعاية والرعايا التي كانت هي المنتشرة في أرجاء الدولة الإسلامية. فالدولة الإسلامية كانت متخطية لهذا الجانب وكانت تتعامل مع المحكومين منها على أنهم رعايا كاملو الحقوق في الحياة العامة.

ثانيًا: إن بلاد المسلمين، ولبنان جزء منها، هي تابعة في سياستها العامة لإحدى الدول الكبرى التي تتحكم بسياستها وبسياسييها الذين تأتي بهم إلى الحكم ليحققوا لها مصالحها ويسيروا بحسب سياستها العامة في المنطقة، فهؤلاء هم واجهة تتخفى وراءهم دول الغرب المتحكمة على المسرح الدولي، فبحسب الرائي يبدو الحكام وكأنهم هم المسؤولون الوحيدون عما يقع به البلد من أزمات سياسية واقتصادية من دون أن ينتبه لوجود آمرٍ ناهٍ لهم، لا يخرجون عن إرادته أبدًا. وهذا الآمر الناهي متمثل بالدول الغربية الرأسمالية المستعمرة، وهذه تعتبر في الحقيقة هي المسؤول الأول عن تسبب هذه الأزمات. هذا الأمر يجب أن يعي عليه الناس حتى لا يغشوا بمواقف بلاد الغرب التي تظهر الحرص على مصالح الناس، وحتى لا يصدقوا دعواهم أنهم يريدون إنقاذ البلد، وأنهم يريدون تقديم المساعدات له عن طريق (سيدر) وغيرها من الطرق الاستغلالية وليس الإنقاذية، فهؤلاء هم من صنعوا الأزمات في العالم، ومنها الأزمات التي يعيش فيها لبنان. ومن العجيب المضحك هو ما نراه في فرنسا التي تدعي النجدة، فهي نفسها تقوم فيها حركات احتجاجات معيشية مقلقة لها، وهي احتجاجات ما يسمى بأصحاب السترات الصفراء. إن النظام الرأسمالي هو نظام أفراد وشركات رأسمالية غربية فاحشة الثراء تتحكم بطبقة الحكم في الغرب، وهذان مع بعضهما يتحكمان بمصائر الدول والشعوب الأخرى بمن فيهم شعوبهم. ولو علمت الشعوب الغربية ذلك لثارت على حكامها ونظامها الرأسمالي المتغوِّل، وهي قد فعلت ذلك بعد اندلاع ثورات ما يسمى «الربيع العربي» التي انطلقت سنة ٢٠١١م، إذ قامت فيها تظاهرات احتجاجية عمت حوالى ألف مدينة في أميركا وأوروبا؛ ولكن سرعان ما أطفؤوها.

وفي هذا المجال يذكر أن هناك سياسة عامة لدى الدول الغربية الرأسمالية المتحكمة بدول العالم، وهي أن تقوم بإغراق هذه الدول وشعوبها بالديون. وعليه، فإن ما يوقِع به حكام المنطقة شعوبهم من أزمات اقتصادية وديون بعشرات المليارات... هذا كله خاضع لسياسة ثابتة لدول الغرب المتحكمة من وراء حجاب بهؤلاء الحكام، إنه استعمار مقنَّع. ولبنان بدوره هو خاضع لهذا مثله مثل غيره من بلاد المسلمين... فقد جاء في تقرير المؤسسة العربية «ضمان» أن حجم الديون الخارجية لعشرين دولة عربية تجاوز عتبة التريليون دولار حاليًا بزيادة قدرها ١٣٤,٥٪ عن معدلات ديون بلغت ٤٢٦ مليار دولار عام ٢٠٠٦، وجاء في التقرير «أن لبنان يأتي ضمن الدول الأكثر مديونية في العالم بتوقعات أن تصل نسبة الدين هذا العام إلى ١٥٢٪ من حجم الناتج المحلي الإجمالي وفقًا لصندوق النقد الدول. فبالله عليكم، هل يعقل أن يبلغ نصف الدين العام في لبنان هو بسبب تأمين، أو قل عدم تأمين الكهرباء في لبنان، وهو بلد لا تبلغ مساحته مساحة محافظة من محافظات الدول المجاورة له؟ إن هذا ليس له إلا تفسير واحد، وهو أنه يصب في خانة سياسة إثقال الشعوب بالديون، ومصرف لبنان وحاكمه هو جزء من هذه السياسة.

إن سياسة الإقراض هذه التي تتبعها الدول الغربية الغنية الاستعمارية مع كل الدول المنخفضة والمتوسطة الدخل هي سياسة تؤدي إلى إفقار الشعوب، ورهن مقدرات البلاد لسنوات طويلة وممتدة للجهات الدائنة، وتؤدي إلى إنهاك ميزانية الدول المـَدينة، والقضاء على كل تنمية فيها بحيث تنشغل بإيفاء الديون ذات الفوائد التي تتحول إلى فوائد مركبة نتيجة العجز؛ ما يؤدي إلى دفع الدين أضعافًا مضاعفة مع بقاء أصل الدين، وهذا ما يقضي على كل تنمية فيها حين تذهب معظم هذه الميزانية إلى نادي الدول الدائنة... فتصوروا كم هي نسبة الفوائد الربوية لمبلغ التريليون الدولار التي على المسلمين أن يدفعوها كل عام! وتصوروا كم تساهم هذه الفوائد في تأزيم أوضاعهم الاقتصادية. وعندما نرى كم يحمل تدخل البنك الدولي من أجل تحصيل الديون، أو إعادة جدولتها في حال عجز هذه الدول عن هذا الإيفاء، من أثر سلبي على الدول المـَدينة الواقعة تحت عجز الإيفاء؛ ما يجعل الأوضاع تتفاقم وخاصة لجهة رفع الدعم عن المواد والخدمات التي تستفيد منها الفئات الفقيرة، وهذا من أكبر الدوافع التي تدفع إلى إشعال الثورات. وعليه فالمتسبب الأول لهذه الثورات هو دول الغرب، وما حكام المنطقة إلا أدوات قذرة بين يديه الآثمتين. وكلامنا هذا يؤيده ما نشره موقع (أوريان٢١) مؤخرًا من مقال لكاتبين فرنسيين خبيرين في شؤون الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وهما آلان غريش وجان بيير سيريني، فقد جاء في مقال مشترك لهما بعنوان: «الثورات العربية... ما العقبات التي تعترض تطلعاتها؟ وماذا يقول التاريخ عن مآلاتها؟» فقد جاء فيها تحت عنوان جزئي «تأثير العولمة

والمؤسسات الاقتصادية الدولية» ما يلي: «وعلى الصعيد الدولي، كان تأثير العولمة وانتصار الليبرالية الاقتصادية الجديدة (النيوليبرالية) قد فرضا «إجماع واشنطن» وخطط صندوق النقد الدولي طريقًا وحيدًا للتنمية» وعبارة: «ما من بديل آخر!»، هو ما كانت تعلنه رئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر على الملأ. وباتت الخطط المعدة في مطبخ صندوق النقد الدولي التي يصدق عليها كل من البنك الدولي والاتحاد الأوروبي تُفرض على البلدان دون أية شفقة، كما باتت النخب [الحاكمة] توجّه أنظارها باتجاه واشنطن، فتخلّت عن المطالب القومية «التي عفا عليها الزمن» من قبيل دعمها للقضية الفلسطينية، ولم تصبح الحريات العامة أفضل حالًا من ذي قبل؛ لأن الشرطة السياسية ظلت تتحكم بكل الأنشطة السياسية» هذا بحسب الكاتبين. وهنا يقول غريش وسيريني إن «هذا النموذج النيوليبرالي المرتكز على التجارة الحرة كان له أثر فادح على الشعوب، إذ لم يضطلع القطاع الخاص بمهام القطاع العام، بل استثمر كل ما نهبه في الملاذات الضريبية، ما جعل الملايين من الشباب من ذوي المؤهلات المهنية والذين لم يجدوا فرص عمل لائقة في بلادهم يهاجرون مجازفين بحياتهم أحيانًا». إنه كلام ينطبق على الواقع تمام الانطباق، محملًا الغرب مسؤولية نشوب الثورات.

والسؤال الذي يطرح هنا بشكل تلقائي وهو: إن دفع عشرات بلاد المسلمين لعشرات مليارات الدولارات كل سنة خدمة لديونها، ألا يأتي ذلك على حساب تدني معيشة الناس، وقطع كل تنمية في البلد، وتأخر الخدمات، وتعقيد الحياة على كل الصعد؟ ألا يشكل هذا دافعًا لثورة الناس على أوضاعهم السياسية المفروضة عليهم. هذا ما يجب أن يعلمه الناس حين يثورون، وإذا غفلوا عنه وصدقوا أن الغرب بريء من هذا الإجرام وراحوا يطلبون مساعداته؛ فهذا لا يعني إلا أن الغرب سيبقى قابضًا على الأوضاع التي صنعها، بل ستزيد قبضته. ولعل هذا ما أشارت إليه بعض شعارات المتظاهرين الثائرين على هذه الأوضاع في الجزائر من مثل قولهم: (لا واشنطن ولا باريس، الشعب يخيّر الرئيس) أي يختار الرئيس. و(العالم يتساءل: ماذا يحدث في الجزائر؟ الشعب يرد: إننا ننظف قمامة فرنسا من بلدنا).

ثالثًا: ثم يأتي دافع آخر لحدوث الثورات ليكمل المشهد بشكل مشمئز ومستفز غاية الاشمئزاز والاستفزاز، وهو عامل الحكام السيئين غاية السوء الذين لم يكتفوا بوضع أيديهم على أموال شعوبهم يسرقونها، بل مكَّنوا حتى أقاربهم منها؛ فأوقعوا البلاد في ديون مضاعفة، وكلنا شاهد صور الثروات الخيالية للحكام الذين تمت إزالتهم عن عروشهم (زين العابدين بن علي، وعلي صالح، وعمر البشير) من الذهب والأموال السائلة؛ حيث تم عرضها بعدما تم وضع اليد عليها

مخبأة في قصورهم، هذا مع العلم أن ما عرضوه هو قليل من كثيرٍ مودعٍ في البنوك الخارجية تحت حسابات مصرفية سرية، وحسابات مشفَّرة، باسمهم واسم أقاربهم. وما يجدر ذكره في هذا المجال هو أن هذه الأموال مودعة في البنوك الغربية ومحمية منها، وهي بعلم الدول الغربية ومسكوت عنها من قبلها ما يجعلها شريكة في جريمة السكوت عن سرقة الحكام لشعوبهم، وحتى ما تدعيه فرنسا من نيتها مساعدة لبنان عبر مؤتمر سيدر فإنما هذه المساعدة هي لزيادة إغراق لبنان في الديون. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا يسكت حكام الغرب عن جرائم سرقة عملائهم من حكام المنطقة لشعوبهم ولا يفضحونهم إن كانوا صادقين.

وهناك أمر لافت كثيرًا، وهو أن أزمة لبنان تنشأ في الوقت الذي يعلن فيه أنه عما قريب سيكون بلدًا نفطيًا بامتياز؛ ما يعني أنه لا داع لكل هذا الهلع والتهديد بإعلان إفلاسه؛ ولكن يبدو أن دول الغرب، وتحديدًا أميركا، تريد إغراق لبنان بديون خيالية لتتم سرقته من أموال النفط. وهذا ينسجم مع سياسة الغرب المتبعة بإفقار المنطقة وإشغالها بنفسها عن التنمية والنهوض المادي. ولو أخذنا العراق مثلًا على ما نقول لوجدنا أنه من أغنى البلدان النفطية، ومع ذلك هو يقبع بديون مقدارها عشرات المليارات، وحكامه يرتعون بعشرات المليارات المنهوبة، بل إن بعضهم يرتع كل واحد منهم بنهب عشرات المليارات. ألا يلفت هذا نظر الناس إلى أن الغرب هو السبب الأساس في مآسينا؟ أليس هؤلاء الحكام هم من فرضهم الغرب علينا؟ انظروا إلى حكام العراق، من أتى بهم إلا أميركا؟ وحكام سوريا من منع سقوطهم إلا أميركا؟ وحاكم مصر السيئ الذكر ألم يصرح ترامب أنه ديكتاتوره المفضل؟ وحاكم السعودية ابن سلمان من حماه ومنع إثارة قتله لجمال خاشقجي على مسرح القضاء الدولي، أليس ترامب؟ وها هي إيران من مكَّنها في العراق وسوريا ولبنان إلا أميركا، صحيح أنها اليوم تفرض عقوبات عليها؛ ولكن ليس من أجل إسقاطها بل فقط من أجل تعديل سلوكها، وهذا ما يصرح به مسؤولوها، وهذا إن دل فإنما يدل على تبعية النظام الإيراني لأميركا؛ إذ هي تريده أن يبقى في الحكم لأنه تابع لها.

هذه أسباب حقيقية لا بد من النظر من خلالها لفهم ما يجري على الساحة اللبنانية وبالتالي معالجته. وباختصار إن الغرب هو القابض على الأوضاع في دول المنطقة، وهو يأتي بالحكام، وهو والحكام هم المسبِّبون لكل ما وصل إليه مستوى حياة الناس من انحدار. وإن النظام العالمي الرأسمالي الذي يحكم الغرب به دول المنطقة، بل دول العالم، قد ترجمه في كل دولة بدستور علماني يخضع للقوانين الدولية والمؤسسات الدولية من مثل الأمم المتحدة ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية، التي يستعملها الغرب من أجل فرض سياساته على دول العالم. وهذا

الدستور لا يصلح لأن يوجد الحياة المطمئنة والمستقرة والهانئة والمتنعمة، بل يؤمن مصالح الأغنياء الأقوياء على حساب الفقراء الضعفاء، وما قيام الثورات إلا رجع للأوضاع المأساوية التي خلفتها هذه السياسة الغربية في المنطقة. إنها منظومة الشر التي تتحكم بدول العالم اليوم.

في مقابل كل ذلك، نقول إن العلاج يكون بنظام عالمي إنساني صالح، فيه معالجات لكل مشاكل الإنسان، ويكون غير النظام الرأسمالي الفاشل والظالم. إنه النظام الإسلامي الرباني المجرب سابقًا، والقادر وحده حاضرًا على معالجة كل مشاكل البشر عبر دولة إسلامية هي دولة الخلافة، التي تجمع دول المنطقة في دولة واحدة وينعم بحكمها الراشد وبعدالتها المسلم وغير المسلم سواء بسواء، والتي تومن الحياة الكريمة لجميع رعاياها من دون استثناء، والتي لا تعترف بما يسمى الأقليات.

إن أهل هذه المنطقة، مسلمين وغير مسلمين، كما شعوب العالم، أمام نظام عالمي ظالم فاجر متغوِّل متوحش... ويجب أن يزول، وفي حاجة إلى نظام عالمي جديد بديل صالح، يرفع من قيمة الإنسان كإنسان، ويؤمن له حقوقه بشكل عادل. ولو نظرنا إلى الواقع، فليس سوى الإسلام من يملك هذه المقومات الحضارية، وعلى المسلمين أن ينطلقوا بالدعوة إلى هذا بكل قوة وجرأة وصراحة، وبالحكمة وبالموعظة الحسنة... فهذا هو السبيل الوحيد للخلاص.

وفي نهاية هذه الكلمة لا بد من ذكر أنه يلاحظ أنه في الموجة الثانية من الثورات تحرص كل من أميركا ودول أوروبا على استبعاد الطرح الإسلامي بعد ما تعتبره نجاحًا لها في تشويه الإسلام عبر ما عرف بتنظيم الدولة ومهاجمة إسلام الحكم ومحاربته عبر ما يطلقون عليه من مصطلح (الإسلاموية)...

إننا نعلن أن لا حل إلا بالإسلام كدين عقيدته سياسية ينبثق عنها نظام، دين حضارته إنسانية يعالج مشاكل البشرية كلها وينهي أزماتها التي خلفتها لهم تلك الرأسمالية البغيضة التي لا ترحم أحدًا، حتى ولو كان من أهلها... فالإسلام هو كلمة الصدق الذي يجب أن يؤوب الناس إليها، مسلمون وغير مسلمين، وأن تلتقي عفويتهم معها، لا مع ما يطرح على أرض الواقع من حلول ترقيعية، ولا مع ما يُلجأ به إلى الغرب الذي هو سبب الداء وعن سابق تصور وتخطيط وليس هو الطبيب المداوي... نعم الإسلام هو السبيل الوحيد للخلاص ولا سبيل غيره. قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ . ■

ذكر موقع الجزيرة في ٢٠١٩/١٠/١٤، أن إحصاءً حديثًا للبنك الدولي عن الديون الخارجية لدول العالم منخفضة ومتوسطة الدخل يظهر أن حجم هذه الديون زادت بنسبة ٥,٢٪ في عام ٢٠١٨، مقارنة بعام ٢٠١٧م، لتناهز في مجموعها ٧,٨ تريليونات دولار. وكان نصيب دول منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من الديون الخارجية للدول منخفضة ومتوسطة الدخل ٣٢١ مليار دولار في العام الماضي بزيادة عن العام الذي سبقه، وكانت ٢٩٩ مليار دولار. ويرجع البنك الدولي تزايد هذه الأعباء المالية على الدول المذكورة (٩١ دولة متوسطة الدخل و٢٩ دولة منخفضة الدخل) في العام ٢٠١٨ إلى عدة عوامل داخلية وخارجية؛ ومنها زيادة معدلات الفائدة في الولايات المتحدة، وارتفاع سعر صرف الدولار، والتوترات التجارية بين واشنطن وبكين، وتباطؤ نمو الاقتصاد العالمي. وتصنف المؤسسة المالية الدولية في خانة الدول منخفضة الدخل كلًا من اليمن وسوريا والصومال، في حين تصنف في خانة الدول متوسطة الدخل كلا من الأردن والجزائر ومصر ولبنان وموريتانيا والسودان وتونس. وبإجراء عملية حسابية يمكن الحصول على نصيب كل فرد في الدول العربية من ديون بلاده الخارجية، والملاحظ أن لبنان والأردن وتونس تتصدر قائمة الدول العربية من حيث ثقل هذا النصيب، في حين يقل بشكل كبير هذا النصيب في دول أخرى، وعلى رأسها مصر والصومال.

لبنان: بلغت ديون لبنان الخارجية في العام الماضي ٧٩,٣ مليار دولار، مقارنة بنحو ٧٤ مليار دولار في ٢٠١٧، وناهز كل لبناني من تلك الديون ١١ ألفا و٦٦١ دولارًا، ومثلت الديون الخارجية ١٤٠٪ من حجم الاقتصاد اللبناني، والمقدر قيمته بـ٥٦,٦ مليار دولار.

الأردن: قدرت الديون الخارجية للبلاد في عام ٢٠١٨ بما يفوق ٣٢ مليار دولار، مرتفعة بمليارَي دولار مقارنة بعام ٢٠١٧، الذي سجل ٣٠,١ مليار دولار، وبلغ نصيب كل فرد في الأردن من الديون الخارجية ثلاثة آلاف و٢٣٢ دولارًا، وشكلت هذه المديونية الخارجية ٧٥,٨٪ من حجم الاقتصاد، الذي ناهز ٤٢,٢ مليار دولار.

تونس: زادت ديون البلاد الخارجية في ٢٠١٨ لتبلغ ٣٤,٦٦٣ مليار دولار، في حين كانت بحدود ٣٣,٤ مليار دولار في عام ٢٠١٧، وكان نصيب الفرد منها ثلاثة آلاف

و١٤ دولارًا، وشكلت هذه الديون ما نسبته ٨٧٪ من حجم الاقتصاد، الذي تبلغ قيمته ٣٩,٨ مليار دولار.

المغرب: وصلت الديون الخارجية للبلاد إلى ٤٩ مليارًا و٢٩ مليون دولار في ٢٠١٨ مقارنة بـ ٤٩ مليار و٧٩٦ مليون دولار في ٢٠١٧، وبذلك يكون نصيب كل مغربي من هذه المديونية ١٣٦١ دولارًا، وتشكل الديون الخارجية ٤١,٥٪ من الاقتصاد المغربي الذي تناهز قيمته ١١٨ مليار دولار.

موريتانيا: ناهزت الديون الخارجية للبلاد في العام الماضي أربعة مليارات و٩٨٤ مليون دولار مقارنة بأربعة مليارات و٩٦٨ مليون دولار، ليكون نصيب كل فرد في موريتانيا من الديون الخارجية ١١٣٢ دولارًا، ومثلت هذه الديون ٩٤٪ من الناتج المحلي الإجمالي الذي يعبر عن حجم الاقتصاد.

السودان: تفيد إحصاءات البنك الدولي بأن ديون السودان الخارجية تراجعت عام ٢٠١٨ إلى ٢١,٥ مليار دولار مقارنة بـ٢١,٧ مليار دولار في العام الذي سبقه، وكان نصيب الفرد من هذه الديون الخارجية ٥١٤ دولارًا، ومثلت إجمالي الديون الخارجية ٥٣٪ من حجم الاقتصاد السوداني المقدر بـ٤٠,٥ مليار دولار.

سوريا: تقلصت ديون سوريا الخارجية في العام الماضي إلى أربعة مليارات و٥٨٩ مليون دولار، مقارنة بأربعة مليارات و٦٠٥ ملايين دولار في عام ٢٠١٧، وكانت حصة كل سوري من هذه المديونية ٢٧١ دولارًا، ومثلت الديون الخارجية ١١,٣٪ من الناتج المحلي الإجمالي (٤٠,٤ مليار دولار).

اليمن: تقدر الديون الخارجية لليمن -الذي تمزقه الحرب والأوبئة- بسبعة مليارات و٣٧ مليون دولار في ٢٠١٨ مقابل سبعة مليارات و١٩٣ مليون دولار عام ٢٠١٧، وبلغت حصة كل فرد من هذه الديون ٢٤٧ دولارًا، ومثلت الديون الخارجية ٢٦٪ من حجم الاقتصاد اليمني، المقدرة قيمته بنحو ٢٧ مليار دولار.

الجزائر: قدرت الديون الخارجية للبلاد بخمسة مليارات و٧١٠ ملايين دولار في ٢٠١٨، بعدما كانت خمسة مليارات و٧٠٧ ملايين دولار في ٢٠١٧، ولم يتجاوز نصيب الفرد من هذه الديون ٢١٩ دولارًا، وشكلت هذه الديون ٣,١٪ من حجم الاقتصاد الجزائري البالغة قيمته ١٨٠ مليار دولار.

الصومال: بلغت الديون الخارجية للصومال مليارين و٩٣٢ مليون دولار في ٢٠١٨، مقارنة بمليارين و٩٥٨ مليون دولار عام ٢٠١٧، وقدر نصيب الفرد من الديون الخارجية لبلاده بـ١٩٥ دولارًا، وشكلت هذه الديون ٦٢,٣٪ من حجم الاقتصاد المحلي (٤,٧ مليارات دولار).

مصر: قدرت الديون الخارجية لمصر بـ٩٨,٧ مليار دولار في ٢٠١٨ بعدما كانت

٨٤,٤ مليار دولار عام ٢٠١٧، وبذلك يكون نصيب كل مصري من ديون بلاده الخارجية مئة دولار، وشكلت الديون الخارجية ٣٩,٤٪ من حجم الاقتصاد المحلي، الذي تقدر قيمته بربع تريليون دولار.

والجدير بالملاحظة أن أغلب الديون الخارجية لدول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا هي ديون طويلة الأجل (مستحق بعد أكثر من عام)، ومنحت أغلب هذه القروض مؤسسات مالية دولية، مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ونادي باريس...

الوعي: ما نشر في هذا الإحصاء يأتي في سياق كلمة العدد من حيث إن هناك سياسة غربية متبعة على نطاق عالمي، وهي تقوم على إغراق الدول بالديون بآلاف المليارات (تريليونات)؛ ليحصلوا على فوائد سنوية تقدر بعشرات ومئات المليارات، وهي تقتطع من خزينة الدول المدينة، فبدل أن تتحول هذه المليارات لتنمية المجتمعات نراها تحرم منها ويتنعم بها الرأسماليون الذين لا حد لجشعهم.

ولما كان حكام هذه الدول هم بدورهم فاسدين وسارقين، نراهم يقومون بسرقاتهم الخاصة التي تبلغ بالمليارات؛ وهذا ما يفاقم الأوضاع سوءًا ويجعلها مريعة، بالإضافة إلى إهمال الخدمات وتفشي المحسوبيات... وهذا ما يجعل حكام هذه الدول يعيدون جدولة ديون الدولة بالاتفاق مع الجهات الدائنة وهذا ما يجعل هذه الديون مع الوقت تتضاعف، وعند إعادة كل جدولة للدين نرى أن هناك شروطًا تضعها الجهات الدائنة تجعل البلد على كف عفريت. هذه ما يجب أن يعيه الذين يثورون على حكامهم، فنظرتهم قاصرة إن هم لم ينتبهوا إلى أن النظام الربوي هو بحد ذاته نظام جائر يحاربه الله، ونظرتهم قاصرة عندما لا ينتبهون ليد الغرب الوسخة الخفية التي تقف وراء هذا الظلم، ومن القصور فقط أن يتهم الحكام فقط. وهنا نرى أن هناك أربعة أمور تستحق الإدانة: وهي النظام الرأسمالي الاستعماري الذي يشرع الربا، وتابعه النظام الدستوري الذي يحكم البلاد. وهناك حكام الغرب وتوابعهم من الحكام العملاء له من أهل المنطقة. وهذا الإحصاء الذي عرضناه بالأرقام، ويظهر فيه حجم الدين في بعض الدول العربية في عام ٢٠١٧م، وكيف أنها زادت بسبب العجز عن الإيفاء، فهذا معناه أن الديون هي في طور الزيادة والنماء... وتظهر أن هذه الديون هي ديون على أفراد كل دولة فردًا فردًا، والعائلة المكونة من خمسة أفراد مثلًا يكون نصيبها خمسة أضعاف المذكور... وتظهر أن غالبية الديون هي خارجية وهذا يعني ارتهان مقدرات الدولة للخارج... ■

الْعُقْدَةُ الْكُبْرَى... والانتماء الحقيقي للحضارة الإسلامية!

ثائر سلامة

أرأيت إلى إنسانٍ فتح عينيه بعد نوم طويل، وبدلًا من أن يجد نفسه يتقلب على فراشه في غرفة نومه، رآى نفسه داخل مقصورةِ طائرةٍ تحلِّقُ بسرعاتٍ مخيفةٍ إلى حيث لا يدري، تخترقُ آفاقًا تحتها جبالٌ ووهادٌ، لم يرَها من قبل ولا علم له بها، ما الذي أتى به إلى هنا؟ ولماذا؟ من الذي زجَّه فأقعده في هذه الطائرة؟ ومتى كان ذلك؟ ومن الذي يقودها؟ وإلى أين تتجه؟ وماذا يراد به هو شخصيًا من بعد؟ وهل الطائرة مزودة بوقود كاف لوصولها لمرفئها بسلام؟ تُرى أيمكن لهذا الإنسان أن يطوي فكره عن التساؤل عن هذا كله، وأن يريح أعصابه عن الهياج وعن ملاحقة ما يجهل[1]؟

ولو أنعمنا النظر في التحولات الخطرة التي أسبغتها هيمنة الحضارة الغربية وتسلطها اليوم في العالم وعلى البشرية، والتي أعادت هيكلة الإنسان في هذا العصر وَفق رؤية علمانية ميكانيكية، أرخت العنان لنسج حياته وفق ماكينة مادية بحتة، فَصَلَتْهُ عن ذاته، وسحقت كينونته، ليتمظهر إنسانًا غريبًا عن إنسانيته، معرِضًا عن إله السموات خالق الكون والإنسان والحياة، وعن فردوس السماء الموعود جزاءً على إحسان العمل في هذه الحياة، مقبلًا على عبادة آلهة أرضية جديدة، محجوبة بغطاء العلمانية والحداثة حينًا، وستار التقدم التقني حينًا آخر، تعده بفردوس أرضي تسوسه الرغبات والشهوات الهائجة وتعظيم اللذات؛ فأورثته هذه النظرة الأرضية ضنك المعيشة، وشقوة[2] الروح ، وخواء الفكر، وحيرة ولا أدرية تسربل بها، ولم يعد يبالي!

لو أنعمنا النظر أكثر لوجدنا انقلابًا كاملًا على مفاهيم الثقافة والحضارة بتفريغها التام من كل قيمة ومعنى، ومن كل بعد إنساني يمثل سلَّم القيم الاجتماعيّة والمعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والتقاليد والفلسفة وباقي المواهب والقابليّات والعادات المميزة للمجتمعات، وتحويلها إلى القيمة المادية والمنفعة الآنية، واختزالها في زيادة الإنتاج والتسويق والربح فقط، ومراكمة الكم على الكم، من سلع ومعدلات إنتاج واستهلاك، حتى غدا الاختراع هو أبو الحاجة، وتحول الإنسان نفسه ليكون سلعة، أو مادة دعائية لترويج سلعة لا يزيد ثمنها عن ربع دينار! وتحولت

١- مدخل إلى فهم الجذور، من أنا، ولماذا؟ وإلى أين؟ الدكتور محمد سعيد البوطي، ص ٨-٩ بتصرف كبير.

٢- الدكتورة كريمة دوز: الوثنية الجديدة: الأشكال الجديدة لعبادة الإنسان الحديث بتصرف.

المجتمعات من أن تكون كيانات ثقافية تتجسد قيمها في نمط عيشها إلى مجموعات استهلاكية، لم تلبث طويلًا بعد خوائها الفكري الثقافي الحضاري ذلك، والذي صاحبه إذكاء لنار العنصرية والتفرقة والتناحر والإفناء حتى دارت فيما بينها رحى حروب ودماء تسفك لها أول وما لها آخر، وانبهر الناس بالتقدم التكنولوجي على حساب التراجع الشديد في مجال القيم الإنسانية، ولم تتمكن العلوم والتقنية من حل مشكلات العالم، ولا أفضت لتفسير معنى الوجود، ولم تزد اللاأدريين إلا مزيدًا من الشك والتيه والوحشة والصدود، وكما كتب الفيلسوف الفرنسي مالرو: Malraux "حضارتنا هى الأولى في التاريخ، التى إذا طرح السؤال الأهم "ما معنى الحياة؟"، أجابت: "لا أعرف" على مدى القرن، فشلت كل محاولات الإجابة"! على الرغم من أن هذا السؤال لصيق بالفكر الإنساني، وشرط أساسي لإدراك كينونة الإنسان، كي لا يقع في الخواء الفكري، والفراغ الأخلاقي، والشذوذ السلوكي.

في برنامج على راديو السي بي سي الكندي، استضاف الفيلسوف لي ماكنتاير Lee McIntyre والذي كانت له تجربة فريدة، حيث نصب في محطة لقطار الأنفاق في نيويورك طاولة وضع عليها لوحة كتب عليها: اسأل الفيلسوف!، وبعد مضي بعض الوقت توقفت امرأة في عقدها السادس وعلى وجهها كل ملامح الجدية، وخلعت معطفها، والشال الذي يغطي رقبتها، وقالت في حزم: أنا امرأة في العقد السادس من عمري، متقاعدة عن العمل براتب مريح، لدي درجة علمية هي الماجستير، لا يوجد عندي أسرة، فأنا مطلقة، وقد نهضت مؤخرًا من سرير الشفاء بعد عملية خطيرة بقيت ندوبها في رقبتي، وأريد أن أعرف ماذا علي أن أفعله باقي عمري؟ أريد سببًا أعيش لأجله!

ألا يذكرك سؤال هذه المرأة بحياتك أنت؟ هل تعرف سببًا تعيش لأجله؟ ماذا عليك أن تفعل باقي عمرك ليكون لعمرك ولحياتك معنى حقيقي؟ أوليس واقع الحال أن حيواتنا مغطاة "بطبقات رقيقة" ما أسهل أن تزول لتنكشف حقيقة أننا غارقون في هذه الحياة دون هدف أو وعي أو طرح تساؤلات حقيقية، ننتظر أن نتقاعد كي نكتشف أن حياتنا العملية التي غطت غالبية الوقت، وأخذت شبابنا وزهرة أعمارنا، واندمجنا فيها بصناعة المسار المهني، والارتقاء الوظيفي، والرخاء الاقتصادي، والتسوق والرحلات وعطل نهاية الأسبوع، ومشاهدة آخر الأفلام ومتابعة البطولات الرياضية، أو حتى السعي لأجل التغلب على الضنك والمشقة، كي نكتشف أن هذه كلها -مع المتعة المصاحبة لكل شيء فيها، أو العناء، ومع أهميتها في حياتنا- ليست السبب الحقيقي الذي ينبغي أن نعيش لأجله، أو الذي وُجدنا في هذا الكون الذي تم تصميمه وتعييره تعييرًا دقيقًا منضبطًا محكمًا خارقًا لتوجد فيه الحياة ويكون مضيافًا

لها، وليوجد فيه هذا المخلوق الذكي القادر على التساؤل والاستكشاف والفهم والإدراك، فإذا ما ارتفعت تلك "الغلالات الرقيقة" وما عاد لها وهجها الذي صاحبها في رحلة الشباب وبناء المستقبل والنظر بتفاؤل لمعيشة مريحة هانئة، أَلَحَّ وقتها، وبكل قوة، ذلك السؤال الذي سألته هذه المرأة، ماذا علي أن أفعله فيما تبقى لي من عمر! ما هو السبب الذي سأعيش من أجله! فتعود الذاكرة وقتها للوراء لتسأل: هل كنت أعيش للسبب الذي كان علي أن أعيش له فيما مضى من عمر؟ هل عشت حياتي بشكل صحيح؟

فماذا عنك وأنت في رحلة كهذه في هذه الحياة الدنيا؟ ألا ترى أهمية الإجابة على نظائر هذه الأسئلة لتفسر لك سبب وجودك في الحياة، ومن أتى بك؟ وماذا بعدها؟ وماذا يراد منك؟ لماذا جئت إلى هذه الحياة؟ هل للكون من إله؟ هل ما يحيط بك من سهول وجبال ووهاد، وأرض وشمس ومجرة وحياة تعج بأنظمة بالغة الانتظام والدقة، وبعضها بالغ التعقيد، هل هي مخلوقة لخالق أم أزلية؟ أم وُجِدْتَ من غير شيء؟ هل لما تفعله في هذه الحياة من علاقة بما بعدها؟ ما علاقة هذا الخالق بالكون؟ لماذا خلقه؟ ما علاقة هذا الخالق بي؟ ماذا يريد مني؟ كيف أتواصل معه؟ كيف أعرفه على الحقيقة؟ كيف نشأت الحياة؟

العدم والوجود، الموت والحياة، الفناء والخلود... يمثل القلقُ الذي يستدعي إجاباتٍ على هذه الأسئلةِ وماهيتها، قيمةً فكرية تعبر للإنسان عن ذاته وسبب وجوده، يعطي للحياة معنى وأبعادًا رائعة، وتعطي للإنسان قيمة تتناسب مع كونه: صاحب الحضور المركزي في هذه الحياة، لأجله صممت أنظمة كونية بالغة التعقيد، وصمم هو ليعيش فيها، فلا معنى للإنسان إن لم يفهم معنى حياته، ووظيفته ودوره فيها، وإلى أين المصير! وأن يحل العقدة الكبرى!

تشكل هذه الأسئلة ما يسمى بالعقدة الكبرى، وتشكل الإجابات عليها حلًا لهذه العقدة الكبرى، ينشأ عنها الإيمان، وينشأ عنها أن يتحرر الإنسان من اللاأدرية، ومن الانحطاط؛ ليرقى في معارج النهوض والارتقاء للمكانة السامقة التي كُرِّم لأجلها!

الانتماء الحقيقي للحضارة الإسلامية

من المعلوم أن الإسلام إلى جانب اشتماله على منظومة العقائد والعبادات والمطعومات والأخلاق والعقوبات والمعاملات التي تضبط علاقة العبد بربه وبنفسه وبغيره، وإلى جانب مجموع الأحكام الشرعية التي تشكل نظام الحياة لديه، وتتفرع عنها أنظمة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقضاء وغيرها، تلك التي ضبطت سلوك الفرد وسادت علاقات المجتمع، حتى غدت طريقة عيش، وحضارة متميزة، فأفرزت الثقافة الإسلامية عشرات العلوم بالغة الدقة والضبط كالتفسير والقرآن والحديث والفقه والأصول واللغة،

بتفريعاتها التي تشرح الإسلام وتضبطه، وأن الإسلام يشكل هوية ثقافية ومزاجًا نفسيًا، وانتماء حضاريًا وتاريخيًا صاغ المقومات الخاصة والعامة للشعوب والأعراق التي دانت به أو خضعت له فصهرتها بعملية صهرية فريدة ليس لها نظير في التاريخ، في بوتقة العقيدة الإسلامية والشريعة السمحة لتكون قوام أمة واحدة من دون الأمم، هي خير أمة أخرجت للناس، بل ولقد أثرت الحضارة الإسلامية حتى في الأمم التي بارزتها العداء أحيانًا! ولقد امتلك الإسلام القدرات الجبارة على تحريك المنتمين للأمة في معارك الوجود الفاصلة، وكان بمثابة خط الصمود الأول والدفاع المستميت عن كرامة الأمة وهويتها، وعن سلطان الأمة وسيادة أحكامه في معترك الحياة - عقيدة تتحرك في الجوانح، ونظامًا سياسيًا يشكل الدرع الواقية التي يقاتل من ورائها ويتقى بها، وشخصيات فذة، وقادة، وعلماء، ومدارس فقهية، ومراكز علمية - فانتقل الإسلام بالأمة نقلة نوعية ليكون مسوغ وحدتها، ومصدر قوتها، وتميزها، وقوامتها على البشرية، وخيريتها، وليكون بعدها النفسي والفكري المحرك لمجتمعها في ميدان صلاحها وفق أحكام شريعتها.

ولقد كان الإسلام منهجًا لصياغة حركات المجتمعات المتعاقبة وتدافعها عبر التاريخ مع غيرها من الأمم، ومقياسا لنهوضها وانحطاطها، ووازعًا لها للنهوض بعد كل كبوة، من خلال منظومة دقيقة للفهم، محكومة بنواميس وسنن كونية ربانية يكون اكتشافها وتدبرها وفهمها وتنزيلها على الواقع طريقًا من طرق العبادة والتقرب إلى الله، ودافعًا للعمل دومًا لاقتعاد مقعد السيادة والريادة والقوامة على البشرية، والقيام على الأمانة التي أنيطت بالأمة، ذلك النهج وتلك المقاييس رفضت رفضًا تامًا أي نوع من التهويم والعشوائية والارتجالية وأن تخضع حركة المجتمع لضرب من التجارب، بل عوضًا عن ذلك تسلحت الفكرة الإسلامية بالعلم وأدواته الدقيقة المنضبطة بالوحي، فقدم للعقل البشري فرصته الاستثنائية لكي يتحرك حرًا في الفهم والإبداع والاستنتاج، بعد أن قدمت له الفكرة الإسلامية منظومة متكاملة من القيم والشرائع والمقاييس التي يستنبط منها الأحكام اللازمة لعمارة الأرض وتحقيق قيمة الاستخلاف فيها.

ولقد تجلى الإسلام منبرًا ومدرسة معرفية، وتجلى هوية حضارية للأمة على عظيم دورها وضخامة قيمتها، وإلى جانب ذلك كان حامل منظومة قيمية ومفاهيم للإنسانية ترتقي على حدود العرق واللون والطبقية؛ ليكون نظام حياة للإنسان الذي يخضع لأحكامه، مسلمًا كان أم ذميًا، يقيم الإسلام في المجتمع ميزان الحق والعدل، على اعتبار أنه رحمة للعالمين، ويقيم على البشرية وما لديها من نظم وثقافةٍ الحجةَ بقيمه ورحمته وأنظمته. ■

الصراع الدولي وشقاء البشرية... من ينقذ العالم من الانحدار للهاوية؟!

حمد طبيب - بيت المقدس

تعاني البشرية هذه الأيام من آفات كثيرة بسبب الصراع المستشري بين الدول الكبرى على المصالح والمنافع والقيم المادية الهابطة، وحتى داخل الدول نفسها هناك معاناة شديدة لدى الشعوب بسبب التطاحن والصراع المادي بين مراكز القوى من الرأسماليين الكبار. وقد ازداد هذا الصراع في الآونة الأخيرة، وازدادت آفاته وشروره، وازداد اكتواء البشرية بهذه الشرور، وازدادت معاناتها. وقد حاولت الشعوب الاحتجاج عدة مرات، والانتفاض في وجه هذه القوى العالمية والمحلية المتحكمة في مراكز القوى - سواء في الدول الناهضة، أم الدول التي تسمى متخلفة - إلا أن كل هذه الاحتجاجات قد جوبهت بالتصدي والإرهاب الفكري والمادي؛ حتى تبقى تحكمات هذه الدول وسطوتها نافذة على البشرية.

سوف نتحدث في هذا الموضوع عن بعض النماذج التي تمارسها الدول الكبرى وتسبب الشقاء والمعاناة للبشرية، ونذكر في المقابل الدين الهادي المستقيم؛ الذي نهض بالبشرية على أساس صحيح، وعن بعض الأحكام الهادية المستقيمة مقابل تلك المعوجة، وعن نماذج من التاريخ الإسلامي الوضَّاء عندما طبق هذا الفكر في أرض الواقع. وقبل أن نذكر ألوانًا من الصراع الدولي وآفاته وشروره وعن الخط المستقيم مقابل ذلك نقول: لم تعرف البشرية عبر تاريخها الطويل صراعًا مبدئيًا منضبطًا وملتزمًا بفكره وحضارته وأخلاقه إلا الصراع المبني على أساس دين الإسلام... وهذا بعكس كل ألوان الصراعات التي شهدتها البشرية عبر التاريخ الإنساني، في حضارة الرومان واليونان والفراعنة وغير ذلك من حضارات.

ففي عهد اليونان والرومان والفراعنة - وهي من أشهر الحضارات قديمًا - أهانوا إنسانية الإنسان من اجل المتع الشخصية والشهوات الذاتية، وقسموا المجتمع إلى طبقة العبيد والأشراف، وكانوا يتلذَّذون في إزهاق الأنفس البشرية للمتعة والتسلية مثل صراع الأسود الجارحة مع العبيد، أو مثل اقتتال العبيد بالخناجر والحراب وإزهاق أرواح بعضهم بعضًا.

وفي الحضارات النصرانية - في العصور الوسطى - انتُهكت إنسانية الإنسان، وسُلبت إرادة معظم الناس لخدمة الأباطرة والأشراف وكبار القادة من الجند والملوك، ولا يملك هؤلاء العبيد من الأموال إلا قوت يومهم في أسوأ الظروف الإنسانية. وحتى الدول التي سبقت الحضارة الرأسمالية بقليل، أو واكبت نشوءها في أميركا وأوروبا؛ لم تعترف بإنسانية بعض الناس، ولا مساواتهم لغيرهم من البشر؛ مثل السود، أو السكان الأصليين في أميركا؛ حيث ارتكبت في حقهم أبشع المجازر التي

عرفتها الإنسانية، وسيطر الغزاة الجدد على أموالهم وأراضيهم.

فهل انتهت معاناة البشرية وشقاؤها في ظل هذه الأنظمة التي ادعت المحافظة على حقوق الإنسان والديمقراطية والحريات؟!.. هل انتهى عصر الاستعباد والظلم الذي سبق هذه الحضارة؟!. وما هو واقع البشرية وحياتها في ظل هذه الدول الرأسمالية والمتحكمين والحاكمين فيها؟.

الحقيقة أن معاناة البشرية قد ازدادت واتسعت رقعتها لتشمل الدول المحيطة بهذه الدول، بعد أن كانت الدائرة تطال البشرية التي تعيش تحت سطوتهم قديمًا، وقد زاد في هذه المعاناة، بالإضافة إلى سوء النظم الديمقراطية المطبقة وظلمها، ما يجري هذه الأيام من صراع دولي تتعدد أشكاله وألوانه، ويجر على البشرية ما يجر من ويلات. ومن صور هذا الصراع الدولي والمحلي والإقليمي الأسود المدمر:

١- صراع الدول على النفوذ السياسي. وخاصة الدول الفقيرة. وقد جر هذا الصراع الحروب المصطنعة والمشردين والمهجرين، وجلب الفقر والويلات الكثيرة...

٢- الصراع الاقتصادي ومنه الأسواق والبترول، وتسبب ذلك بالاحتكارات للأسواق وغلاء السلع، وسيطرة الشركات الكبرى على ثروات الشعوب الفقيرة؛ وخاصة ثروة البترول والمعادن، وتسبب كذلك باستعمار الدول سياسيًا واقتصاديًا...

٣- التطاحن الدولي على سيطرة النقد وتحكماته بالدول، ويظهر ذلك في أفعال أميركا وبذلها لكل جهد في إحكام سيطرة الدولار على الدول كافة ومنها الغنية. وقد جرَّ ذلك على العالم الأزمات الاقتصادية وغلاء الأسعار، واحتكار أميركا لمعظم ثروات الشعوب...

٤- الصراع الغربي في قيادة الغرب من جهة والتحكم بالدول الغربية، والصراع على قيادة العالم بشكل عام... هذا الصراع جرَّ على البشرية التطاحن الدولي على مركز الصدارة بين الاتحاد الأوروبي وأميركا من جانب، وبين الصين وحلفائها وأميركا من جانب آخر، وتسبب ذلك بتوترات دولية بين هذه الدول، والتهديد بإشعال حروب مدمرة...

٥- صراع الطبقات السياسية الرأسمالية داخل المجتمع الواحد، وقد جلب ذلك نشوء نظام الطبقية المقيتة، ونشوء الفقر داخل الدول الرأسمالية بسبب الحيتان الاقتصادية والسياسية المتحكمة بالشركات الكبرى والأسواق، على حساب الطبقة الكادحة الفقيرة...

٦- صراع العرقيات والنزعات الانفصالية والمذاهب الدينية حتى داخل القطر الواحد. وهذا اللون من الصراع قد جرَّ على العالم قديمًا الحروب المدمرة، وجر حربين عالميتين، وما زال يهدد الشعوب في كثير من المناطق، وتستغله الدول العظمى في سيطرتها السياسية كما هو حاصل في تركيا في مشكلة الأكراد، وفي العراق وإيران وسوريا، وفي بورما...

٧- الصراع للانفصال والانفكاك من الاتحادات الواهية القائمة على الإكراه والقوة.

والصراع من هذا النوع قد يوجد داخل الدولة الواحدة كما هو موجود اليوم داخل ولايات أميركا التي تهدد بالانفصال، وموجود كذلك في بعض دول الاتحاد الأوروبي التي تهدد بالانفصال عنه...

إن ألوان هذه الصراعات لا تستند إلى فكر صحيح، ولا إلى خدمة البشرية، ولا إلى الديمقراطية وحقوق الإنسان والحرية - كما تدعي - إنما تستند إلى نزعات شهوانية، وحب الذات والسيطرة على الغير من البشر. وحتى داخل الدولة الواحدة فان نظرتها نفعية مصلحية فردية النظرة والهدف. وقد ضاقت البشرية ذرعًا بهذه الصراعات، وصارت تمقتها وتطالب بحل المؤسسات الدولية القائمة فيها أو إصلاحها، كهيئة الأمم ومجلس الأمن والمنظمات المالية والاقتصادية التابعة لها. وهناك دعوات لهدم النظام المالي برمته، ودعوات ضد تحكماته المالية، وضد التجارب النووية، وضد التلوث البيئي. وكذلك هناك مظاهرات ضد السطوة والسيطرة المالية، والمناداة بهدم رموزها في وول ستريت وأسواق لندن وباريس المالية؛ كما حدث سنة ٢٠١١م، عندما سارت المظاهرات في ألف مدينة رأسمالية تطالب بهدم رؤوس المال والأعمال، وكان شعار الحركة «نحن الـ ٩٩٪»، (في إشارة إلى غياب العدالة في توزيع الثروة بين ١٪ من سكان العالم ذوي الثراء الفاحش، وبين ٩٩٪ الذين يعانون من عدة مشكلات اقتصادية واجتماعية)... ومظاهرات ضد الفقر والتحكمات الاقتصادية، كما يحدث هذه الأيام في عاصمة الحرية (فرنسا). وحتى الدول التابعة والعميلة قد ضاقت الشعوب بها ذرعًا؛ فخرجت المظاهرات في معظم العالم الإسلامي تطالب بالتخلص من سطوة وتحكمات الزمرة الحاكمة التي نهبت البلاد والعباد وأذلت الشعوب، وما زالت هذه الاحتجاجات مستمرة في كثير من البلاد...

وبالمقابل، فلو نظرنا إلى الحضارة المبدئية المستقيمة (حضارة الإسلام)، وإلى أعمالها طيلة فترة عزها وقوتها وحسن تطبيقها للإسلام، ونظرنا إلى نظرة الشعوب لهذه الحضارة وتعاملها مع الجيوش الفاتحة لبلادها؛ لرأينا أن الصورة تختلف اختلافًا كلّيًا عن الحضارات الأخرى طيلة التاريخ الإنساني، فهناك ميزات تميزت بها هذه الحضارة في أصولها وجذورها، وفي أحكامها العملية وتطبيقات هذه الأحكام، وفي نظرة الشعوب لها وكيفية الإقبال على فكرها.

فالحضارة الإسلامية هي في أصولها وجذورها من الله الخالق المدبر جل جلاله، وهذه ميزة لم تحظَ بها أي حضارة أخرى. فكل الحضارات الأخرى – سواء المستندة إلى مبدأ أم غير المستندة إلى مبدأ - لا تستند إلى الخالق جل جلاله، أو أنها حرفت وغيرت، وخلطت دينها بدنياها.

أما الأحكام العملية التي تميزت بها هذه الحضارة فإنها لا تميز بين سيد وعبد، ولا فقير وغني. فالناس سواسية في الإسلام، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى. وهي تطبق الإسلام على الشعوب المفتوحة من غير أن تنظر إليها أية

نظرة مادية؛ كما هو حال الرأسمالية هذه الأيام، وقد حدث وأن أعاد قوَّاد المسلمين الأموال من الجزية إلى الشعوب المفتوحة التزامًا بحكم شرعي كما حدث في حمص، وخرج قائد المسلمين في سمرقند منها بعد أن فتحها التزامًا بحكم شرعي أيضًا؛ ما جعل تلك الشعوب تتبع الإسلام، وتقتنع بعدالته وحسن أحكامه، وهذا ما يفسر سرعة انتشار الإسلام خلال خمسة عشر عامًا من هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام في الهند والسند وأطراف روسيا، والقضاء على إمبراطوريتين كاملتين، وهو ما تعجز عن فعله جيوش حديثة بأحدث المعدات والتقنية العسكرية.

إن الصراع الدولي والحضاري هذه الأيام قد أهلك الحرث والنسل، وجلب على البشرية مشاكل وآفات لا يمكن حلها؛ لأنها جزء من هذه النظم السقيمة المستندة إلى حضارات فاسدة سقيمة. فالاستعمار ومص دماء الشعوب، والقتل من أجل الثروات، وسلب الناس لقمة عيشهم لتزيد ثروات الرأسماليين، وإثارة الفتن بين الدول للسيطرة العسكرية والسياسية، والحروب المدمرة هنا وهناك... كل هذا وغيره هو ثمار حتمية لحضارات فاسدة سقيمة لا تعرف عدالة ولا إنسانية، ولا رحمة... إنما تعبد المال والشهوات والثروات حتى لو أبادت نصف المعمورة!.

إن البشرية اليوم تنتظر العدل والاستقامة، تنتظر الشمس الدافئة الوضاءة التي أفل نورها منذ أكثر من مئة عام... إن البشرية جميعًا تنتظر من يخلصها من كل ألوان هذه الصراعات الوحشية المدمرة، والآفات المبدئية القاتلة. وفي هذا بشارة عظمى تبشر أولًا العاملين لإعادة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة وبقرب هذا الخير العميم الكبير، وتبشر بانتشار هذا الدين على كل أرجاء الأرض، كما وعد الله عز وجل وبشر به رسوله عليه الصلاة والسلام. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: **"إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ»**. رواه الإمام أحمد.

نسأل الله تعالى أن يكرم أمة الإسلام، أولًا بعودة الحق إلى نصابه، بعودة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وأن يكرم البشرية جميعًا بانتشار الإسلام في ربوع الأرض،

اللهم آمين. ■

إقامة أحزاب سياسية مبدؤها الإسلام فرض من الله تعالى على المسلمين (١)

سليمان المهاجري - اليمن

غياب حكم وجوب وجود أحزاب إسلامية لدى المسلمين:

إنه لو كان الإسلام دينًا فرديًا لما تطلب أن يكون فيه جماعات ولا أحزاب سياسية، ولاكتفى المسلمون بالقيام بأحكامه كل في خاصة نفسه، فيصوم من يصوم بشكل فردي، ويحج من يحج بشكل فردي، وإن كان الحج يتطلب قيام المسلمين به مجتمعين. أو يصلي من يصلي كأفراد، وإن فرضت فيه الصلاة كجماعة ولكن تبقى ضمن نطاق القيام بها كصلاة لا تتعداها إلى غيرها... ولكن الإسلام دين مبدئي، عقيدته سياسية تنبثق عنها كل أنظمة الحياة، والتي بها تتحدد كل علاقات الإنسان: علاقته مع ربه وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره؛ لذلك فرض الإسلام على المسلمين إقامة دولة إسلامية تنتظم من خلالها هذه العلاقات، وأناط الشرع تطبيق كثير من أحكامه بها؛ بحيث إن وجدت هذه الدولة نفذت وإن لم توجد الدولة تعطلت، فيكون على المسلمين وجوب إيجادها حتى تكون هذه الأحكام منفذة ولا تبقى معطلة. فمبدئية الإسلام تستلزم وجود دولة، والله قد أمر بها، والرسول قد حققها، ولا يمكن تصور تطبيق الإسلام ككل من غير وجود دولة، وبالتالي لا يمكن وجود دولة من غير وجود جماعات أو أحزاب سياسية تعمل على إيجاد هذه الدولة. من هنا صار وجود جماعات إسلامية سياسية واجبًا من باب **(ما لا يتم الواجب إلا له فهو واجب)**.

ولكن، بعد أن لعبت المفاهيم المدسوسة دورًا في تغييب أحكام الإسلام، صار لا بد، واضطرارًا، من توضيح الواضح. ومن جملة ذلك، حكم الإسلام في وجوب إقامة أحزاب سياسية تعمل على إيجاد الدولة إن فقدت، وعلى محاسبتها إن وجدت. فوجود الأحزاب السياسية هو من الأحكام الشرعية الواجبة، والتي يجب أن لا تخلو منها الأمة سواء في حال وجود الدولة الإسلامية، أو في حال عدم وجودها، وعليه، فإن الأحكام الشرعية المتعلقة بالدولة الإسلامية وبالأحزاب السياسية هي أحكام متعلقة بالطريقة الشرعية المسؤولة عن إقامة الدين والحفاظ عليه ونشره، وهذا ما قام به الرسول ﷺ،فهو في مكة تركزت دعوته فيها لإقامة الدولة مع تكتل الصحابة ﷺ، وهو في المدينة كان، بالإضافة إلى كونه رسولًا ومبلغًا، كان قائد دولة.

غياب هذا المفهوم لدى العلماء:

هذا المفهوم الشرعي الذي يجب أن يكون عند المسلمين مفهومًا منتشرًا بينهم، ولا يحتاج إلى سرد أدلة له ليدرك وجوده، أصبح مفهومًا غائبًا عندهم، وحتى عند من يسمون أنفسهم علماء، والسبب في ذلك هو خضوع هؤلاء العلماء لبرامج التعليم التي وضعها

الغرب لمعاهد التعليم الشرعية، وفرض تعلمها عليهم، فصارت صناعة هؤلاء العلماء بحسب هذه المعاهد الشرعية صناعة غربية تقوم على فصل الدين عن الحياة، وظهرت بأشكال مختلفة، فمنهم من كان تابعًا لجماعات وتوجهات فكرية معينة، ومنهم من كان طابعه فرديًا غير تابع.

أما الصنف الأول: فمنهم السلفيون وما تبنَّوه من فصل بين السياسة والدين، إذ جعلوا الحكم لآل سعود، والدين (أحكام العبادات والطلاق والزواج والمواريث...) لآل الشيخ. ومنهم الإخوان المسلمون وما تبنَّوه من أن هناك أحكامًا عفا الشرع عنها، أي تركها للمسلمين من غير أن يتدخل بها، وهذه الأحكام المعفو عنها، أي المسكوت عنها، تشكل حوالى ٩٠٪ من الإسلام، وهذه تقع ضمن دائرة المباحات التي يباح لنا أخذها من خارج الإسلام، ونتوخى فيها ما تراه عقولنا من مصلحة. وبحسب هذا الفهم المغلوط، لا يبقى إلا حوالى ١٠٪ للعبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج... وأحكام ما يسمى بالأحوال الشخصية، كأحكام المواريث والزواج والطلاق... ومنهم من يدعو إلى فضائل الأعمال فحسب، وكأن ما عداها ليس من الإسلام. ومنهم آلاف الجمعيات التي اهتمت بجوانب جزئية من الإسلام كالجمعيات الخيرية والأخلاقية. ومنهم من يسمون بالصوفيين الذين يبتعدون عن السياسة ابتعادًا كليًا لدرجة أن مركز راند الأميركي للأبحاث اقترح تبني توجههم ونصح بالعمل على نشر فكرهم بين المسلمين؛ وذلك ليضمن ابتعاد المسلمين عن السياسة.

أما الصنف الثاني: فهم العلماء الذين تخرجوا من المعاهد الشرعية وكانوا مستقلين فلم يلتحقوا بأي من الجماعات، ولم ينحازوا إلى أي من التوجهات الفكرية الإسلامية، فقد اكتفوا بالفتوى بالأمور الفردية وضمن النطاق المرسوم لهم مما تعلموه في المعاهد الشرعية، وهؤلاء تم ربطهم بدوائر الأوقاف الرسمية التي تمنع عليهم الاشتغال بالسياسة، وأفقرتهم بأن جعلت رواتبهم زهيدة جدًا لا تكفيهم، ما جعل قسمًا لا بأس به منهم، وللأسف تابعين في الأمور السياسية لزعماء سياسيين، وكان تصرفهم هذا وكأنه إقرار ضمني منهم أن السياسة ليست من الدين. وهكذا انتشر هذا المفهوم الخاطئ لدى المسلمين عامة، وعلمائهم خاصة، إلا من رحم ربي، وأصبح الاهتمام اهتمامًا ببعض أمور المسلمين وليس اهتمامًا بكل أمر المسلمين.

غياب مفهوم الدولة الإسلامية يكرس هيمنة الغرب على بلاد المسلمين:

ومن دلائل غياب هذا المفهوم الشرعي عن أذهان المسلمين هو ما تردد لدى عمومهم من القول أن: (لا أحزاب في الإسلام) و(قاتل الله الأحزاب) والأنكى من ذلك هو نسبة هذه الأقوال زورًا إلى الرسول ﷺ. وانتشار هذا المفهوم المغلوط والمدسوس بين المسلمين كان له أبعد الأثر عليهم في تركيز الأوضاع التي أوجدها الغرب المستعمر لبلادنا ليبقي على استعماره لها؛ إذ بهذا المفهوم يمكنه أن يطمئن إلى أنه لن تقوم قائمة المسلمين مرة أخرى. فكيف يمكن طرده من بلادنا وكف شره عنا بغير العمل الجماعي الحزبي الذي

يستطيع بالعمل بين الناس تغيير أنظمة الدول القائمة في بلاد المسلمين، والتي تحكم بغير ما أنزل الله، فضلًا عن عمالتها وولائها لدول الغرب الرأسمالي النصراني الكافر الذي يحرمه الإسلام تحريمًا قاطعًا، لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فضلًا عن وجود العشرات من الآيات الكريمة وأكثر منها من الأحاديث الشريفة التي تجعل الولاء لغير الله تعالى من المحرمات التي قد تخرج عن الدين. فهذه الأحزاب الشرعية أناط بها الشرع إقامة دولة الإسلام، وفرض عليها الالتزام بالسير بحسب طريقة الرسول ﷺ حتى تستطيع أن تقيم الدولة الإسلامية كما أقامها الرسول الكريم، وتكون دولة خلافة راشدة. ويتساءل المسلم منا: كيف يمكن للمسلمين أن يقوموا بنشر الإسلام والقيام بالجهاد وإدخال الناس في دين الله أفواجًا كما فعل الرسول ﷺ من غير دولة. والدولة، كيف يمكن إقامتها من غير أحزاب إسلامية سياسية. إن الأمر واضح ولا يحتاج إلى كثير بحث حتى يدرك، فهو مطلوب شرعًا وعقلًا

أثر هذا المفهوم المغلوط على واقع المسلمين:

إنه من المعلوم الملموس أن المسلمين يحبون دينهم كثيرًا، ويصل حبهم له إلى أن يكون قبل حبهم لأنفسهم؛ ولكن للأسف على هذه الطريقة المغلوطة التي ذكرناها آنفًا، مما جعلها محبة غير فاعلة وغير مؤثرة ولا يمكننا التغيير بها، هذه الطريقة المغلوطة تجعل المسلمين يتألمون عند كل حدث من غير أن يمكنهم التغيير، تجعلهم يعبرون عن رفضهم لما يحدث للمسلمين ويتظاهرون ولكن فقط من باب التنفيس. وهذا الأمر في غاية السلبية في الوقوف في وجه ما يحاك للمسلمين، ولكنه يملك إيجابية واحدة وهي أن المسلمين في كل حالة يقهرون بها ولا يستطيعون التغيير بواسطتها تجعل مشاعر السخط والغضب لديهم تتجمع وتتراكم؛ ما يؤدي إلى توحدهم؛ ولكن، وللأسف، على مشاعر الإحباط، فتصبح لديهم الرغبة الجامحة بالتغيير، ولأنهم لا يملكون التصور الشرعي الصحيح له؛ لذلك نراهم يقولون بالمهدي، ونسمع من بعضهم أنهم يحسون بأن النصر قادم وقريب، ولكن ليس عن عمل منهم وإنما عن تدخل من الله سبحانه؛ حتى إن ما نراه اليوم من قيام أعمال تدعو إلى التغيير من مثل ما قام عليه تنظيم الدولة من دعوى تغيير الأنظمة القائمة وتوحيد بلاد المسلمين في دولة واحدة هي دولة الخلافة، أو ما تقوم به جماعات مسلحة من أجل تغيير الأنظمة في بلادها... هذا وغيره إن هو إلا ردات فعل للمسلمين على أوضاع قائمة ظالمة، وتفريغ لطاقاتهم؛ ولكن ليس بالشكل المنضبط شرعًا... وهذا كله يشي بمحبة فائقة للدين عندهم؛ ولكن بغير علم. وبهذا نرى أن شيوع فكرة أن لا أحزاب في الإسلام هي فكرة قاتلة معوقة يعمل الغرب على زرعها بين المسلمين حتى لا ينخرطوا في عملية التغيير بل ومقاومتها.

إن بيان وجوب العمل في جماعة لإقامة حكم الله هو بيان لحكم شرعي مفصلي هو بغاية الأهمية في عملية التغيير،...

الأدلة الشرعية التي يتذرع علماء اليوم لتحريم وجود أحزاب إسلامية:

ذكرنا أن قد تردد لدى عموم المسلمين القول بأن: (لا أحزاب في الإسلام) و(قاتل الله الأحزاب). أما العلماء بدورهم فقد كان لهم رأيهم واستشهادهم بآيات من القرآن استشهادًا مغلوطًا ليرفضوا وجود الأحزاب في الإسلام، وهو استشهاد ينم عن جهل بالإسلام، فقد استشهدوا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ وبقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ وبقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ وفسروها على أنها ذم من الله سبحانه لإقامة أحزاب سياسية مبدؤها الإسلام.

وهذا الجهل مرده إلى أن العلماء قد تمت صياغة عقلياتهم في المعاهد الشرعية التي تخرجوا منها على اعتبار الإسلام أنه دين فردي، وبالتالي لا يعني تغيير الواقع وإقامة حكم الله بعمل جماعي لهم شيئًا. وهذا الموقف من العلماء يمكن القول فيه أنه فضلًا عن الجهل، هو سير العلماء في فتاواهم مع الواقع وليس تغيير الواقع...

ولا يخفى عليكم أيها الأعزاء من هم المقصودون بهذه الآيات ، الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا ، فكل حزب بما لديهم فرحون ، وإلا ، فتعالوا نستمع لما قاله السعدي في تفسير الآية الأولى :

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ قال السعدي في تفسيرها: «

«يتوعد تعالى الذين فرقوا دينهم، أي: شتتوه وتفرقوا فيه، وكلٌّ أخذ لنفسه نصيبًا من الأسماء التي لا تفيد الإنسان في دينه شيئًا، كاليهودية والنصرانية والمجوسية. أو لا يكمل بها إيمانه، بأن يأخذ من الشريعة شيئًا ويجعله دينه، ويدع مثله، أو ما هو أولى منه، كما هو حال أهل الفرقة من أهل البدع والضلال والمفرقين للأُمة. ودلت الآية الكريمة أن الدين يأمر بالاجتماع والائتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف في أهل الدين، وفي سائر مسائله الأصولية والفروعية. وأمره أن يتبرأ ممن فرقوا دينهم فقال: ﴿ لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾ أي لست منهم وليسوا منك، لأنهم خالفوك وعاندوك.

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يردون إليه فيجازيهم بأعمالهم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾.

وقال البغوي في تفسير الآية الثانية

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ «من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا أي: صاروا فرقًا مختلفة وهم اليهود والنصارى».

وقال الطبري في تفسير الآية الثالثة ﴿ وَأَنَّ

هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وهذا الذي وصاكم به ربكم، أيها الناس، في هاتين الآيتين من قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ وأمركم بالوفاء به، هو «صراطه» يعني: طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده. ﴿ مُسْتَقِيمًا﴾ يعني: قويمًا لا اعوجاج به عن الحق ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ۖ ﴾ يقول: فاعملوا به واجعلوه لأنفسكم منهاجًا تسلكونه، ﴿فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ يقول: ولا تسلكوا طريقًا سواه، ولا تركبوا منهجًا غيره، ولا تبغوا دينًا خلافه، من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان، وغير ذلك من الملل، فإنها بدع وضلالات ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾. يقول: فيشتّت بكم، إن اتبعتم السبل المحدثة التي ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان، اتباعُكم إياها «عن سبيله» يعني: عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه، وهو الإسلام الذي وصّى به الأنبياء، وأمر به الأمم قبلكم

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصاكم به ربكم من قوله لكم :

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ وصاكم به﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يقول: لتتقوا الله في أنفسكم فلا تهلكوها، وتحذروا ربكم فيها فلا تسخطوه عليها، فيحل بكم نقمته وعذابه».

بهذا التنوع في أقوال المفسرين، تتضح وحدة المعنى عند جميع المفسرين مع اختلاف ألفاظهم، فما أراده الله سبحانه هو ذم اليهود والنصارى والمجوس وأهل البدع والضلال ومن في حكمهم في فهمهم ونهجهم، ومنه يتضح أن تفسير هذه الآيات لا يعني مطلقًا ذم إقامة أحزاب سياسية مبدؤها الإسلام.

وهنا لابد من لفتة معلومة أيضًا من الدين بالضرورة، كي لا نترك مجالًا لأي لبس لدى القارئ فيما نقول. فالاجتهاد في الإسلام تعريفًا هو بذل الوسع في استنباط الأحكام الشرعية من النصوص الظنية الدلالة؛ حيث لا اجتهاد فيما هو قطعي الدلالة، ولا مجال هنا لذكر شروط الاجتهاد وما إلى ذلك.

والاجتهاد في مضمون النصوص الشرعية مِنةٌ من الله سبحانه تضمن حيوية هذا الدين الحنيف ومواكبة تطور الحياة بشكل منضبط بالشروط الشرعية.

ولأن المجتهدين متفاوتون في طرق استنباطهم وفي فهمهم للنصوص الظنية الدلالة. فقد صدر عنهم استنباطات للأحكام الشرعية وصلت حد التناقض فيما بينهم، وهذا طبيعي، وهذه سعة في الإسلام؛

ولكن ذلك لم يكن في يوم من الأيام وعبر تاريخ المسلمين مدعاة للفرقة والتناحر والتباغض بين هؤلاء المجتهدين، ولا بين أتباع ومقلدي مذاهبهم، بل كان من باب السعة في الدين أرادها الله سبحانه لعدم التضييق على المسلمين. ومنه كان التعدد الحزبي السياسي في الإسلام؛ لتعدد طرق الاستنباط لدى كل حزب؛ إلا أنها أحزاب أبعد ما تكون عن التناحر والتباغض فيما بينها، وهذا على الأقل ما يجب أن يكون في شرعنا الحنيف. فُجُلُّ من أدلى

بدلوه في الاجتهاد يقول : «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيُ غيري خطأ يحتمل الصواب».

نعم، إن تغيير مفاهيم الإسلام الصحيحة بمفاهيم مدسوسة مشبوهة هو افتراء على الله. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [. وقال رسول الله ﷺ: «**لا تَكذِبوا عليَّ ، فإنه مَن كذَب عليَّ فلْيَلِجِ النارَ**» أخرجه البخاري. وبهذا لا يخفى على القارئ مدى الجرأة على الله ورسوله في تفسيراتهم المشبوهة المكذوبة تلك التي أراد لهم الغرب، وعاونهم في ذلك علماء المسلمين، يعرف ذلك من يعرف، ويجهاه من يجهله، والكل آثم في ذلك، وبهذا يحقق الغرب لنفسه تغييب مفاهيم الإسلام الصحيحة، ضرب مفاهيم الإسلام بالإسلام نفسه، ويتم بها تعويق نهضة المسلمين، ويتم استمرار الغرب باستمرار استعماره لهم. ولأن مقتلهم يكمن في وحدة المسلمين واجتماعهم.

إن عدو الغرب الأول هم من يطرحون الإسلام طرحًا سياسيًا، ويتبنى محاربتهم تحت مسمى محاربة الإرهاب، وأمثال هؤلاء العلماء يسيرون مع الغرب من غير ما قصد فيما يريد من إبعاد الإسلام السياسي، وحصر تعاليم الإسلام ضمن نطاق العبادات الفردية التي لا تخص أحكام عبادات الجماعة في شيء، ويحرضون المسلم على الاهتمام بخاصة نفسه فقط، وأن يتجنب تشكيل أحزاب سياسية مبدؤها الإسلام، أو حتى الانخراط بصفوف ما هو قائم منها، وتراهم يلبسون على المسلمين مفاهيم الإسلام بمثل قولهم، كيف تريدون أن تقيموا دولة الإسلام، أو أن تحرروا بلاد المسلمين، وتقضوا على رجس يهود والمسلمون لا يصلون الصبح في جماعة، أو أنهم يهملون السنن، أو أن أخلاقهم صارت سيئة... وبهذا يأتون بأحكام العبادات الفردية في الإسلام على أنها حلول لأزمات الأمة، ويبعدون المسلمين عن أحكام العبادات الجماعية التي تختص بالحلول الشرعية لأزمات الأمة، وما ذلك إلا من باب تغييب المسلم عن ثوابت دينه. ولا شك بأن هذه الدعوات الباطلة تبقي المسلمين مشرذمين أشتاتًا متفرقين، بلا دولة خلافة راشدة على منهاج النبوة تحمي بيضتهم وتطبق شرع الله عليهم في كل مناحي الحياة.

هذا ولا يخفى ما في هذه الطروحات من دعوة إلى فرقة وضعف وانكسار وانقياد الأمة لأعداء الأمة وإغضاب لرب العباد. وهنا يتساءل الواحد منا: كيف يستقيم أن تكون إقامة أحزاب سياسية إسلامية تقوم على شرع الله، وتدعو إلى إقامة شرعه بإقامة دولة الخلافة تفرقة بين المسلمين؟! وما هذا التناقض؟!.

إن إقامة أحزاب سياسية إسلامية فرض من الله سبحانه وتعالى على المسلمين. وهو كفرض لا يختلف عن فرض الجهاد أو إقامة الصلاة أو إيتاء الزكاة، ولا بد من بحث هذا الموضوع بحثًا شرعيًا يؤدي إلى تبنيه والعمل به لإرضاء الله بإقامة شرعه، ونشر دينه، وإعلاء كلمته.

إن لفظ (حزب) في اللغة العربية هو من الألفاظ المشتركة، أي لها أكثر من معنى.

فمن معانيه: الوِرد، والسلاح، والطائفة.

والحزب: الفريق، قال تعالى:﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾. وحزب الرجل: جنده. وحزب الرجل: أنصاره ومن يواليهِ. وحزب الرجل: أصحابه الذين على رأيه. والحزب هو الجماعة تجتمع لرأي واحد وغاية محددة...

على أن الله سبحانه مدح أحزابًا وذم أحزابًا أخرى. ففي مدح الأحزاب قال عنهم : ﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ و ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.وفي ذم الأحزاب المذمومة قال عنهم: ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ و﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾.قال تعالى:

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾. لقد جاء مدح الله سبحانه لأحزاب معينة معلومة بأهدافها وعلى الشكل الموصوف، هو طلب جازم لفعله، وذمه هو طلب جازم لتركه؛ وعليه يكون الله سبحانه قد طلب من المسلمين إقامة أحزاب بعينها (تتولى الله ورسوله والذين آمنوا، لا يوادون من حاد الله ورسوله) ونهاهم عن إقامة أحزاب بعينها (تتولى الشيطان).

كذلك، فإن لفظة (أمة) هي من الألفاظ المشتركة. فمن معاني (الأمة) : الطريقة، والشرعة، والدين، والنعمة، والهيئة، والشأن، والسنة، والجنس، والجيل... والأمة: الرجل الجامع للخير، ومن هو على الحق مخالف لسائر الأديان ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾. والأمة: جماعة أرسل لهم رسول، لذلك قلنا : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ومنها قولنا أمة محمد عليه الصلاة والسلام. وأمة الرجل: قومه. والأمة: الجماعة. ومن مقارنة المعاني يتبين لنا أن (الأمة) تعني الحزب. وهذا ما عناه ربنا سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾. . وفي هذه الآية الكريمة طلب الله سبحانه وتعالى من أمة محمد ﷺ طلبًا جازمًا أن يكون منهم جماعة سياسيون منتظمون في أحزاب سياسية مبدؤها الإسلام لتقام على يدهم دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة في حال غيابها، ولتحكم الأرض بأحكام الشرع الإسلامي، ولتطبق الإسلام كاملًا في جميع مناحي الحياة، ولحمله رسالة خير للبشرية بالدعوة والجهاد.

ولو أردنا أن نبسط فهم الآية فنقول:

(اللام) في (ولتكن) هي لام الأمر، و(ولتكن) تعتبر من أبلغ صيغ الوجوب في

العربية، وهي أصرح في الأمر من صيغة افعلوا الأصلية، وهي طلب فعل جازم بقرينة (وأولئك هم المفلحون)

و (من) في (منكم) للتبعيض، أي بعضكم، لأن الأمة كلها بأطفالها وشيوخها وضعافها ومعتوهيها لا تصلح لهذه المهمة السامية، وإنما يصلح لها من يجيدها ويحسنها بأن تكون عنده القدرة العقلية والعلمية، والنفسية والخلقية لأدائها.

و (أمة) جماعة على رأي شرعي واحد، أي حزب، فهم جماعة اجتمعوا على رأي شرعي واحد مستنبط بالاجتهاد من النصوص الظنية الدلالة من كتاب الله وسنة رسوله صلوات ربي عليه وسلامه، لغاية محددة، سنبين عملها أدناه.

و (يدعون) أي ينتصبون للقيام بأمر الله في الدعوة.

و(الخير) هو «اتباع القرآن وسنتي» كما أورد ابن مردويه عن رسول الله صلوات ربي عليه وسلامه. و(الخير) اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله ويبعد من سخطه. و(الخير) هو الإسلام وما أتى به من تشريع، كنظام الحكم الإسلامي الذي يتمثل في دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، كما وردنا عن سيد الخلق عليه صلوات ربي وسلامه، فيما أورده البخاري في صحيحه: «**قاعدتُ أبا هريرةَ خمسَ سنينَ، فسمعتُه يُحدِّث عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قال: «كانت بنو إسرائيلَ تسوسهم الأنبياءُ، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ، وإنه لا نبيَّ بعدي، وسيكون خلفاءٌ فيكثرون». قالوا: فما تأمرُنا؟ قال: «فُوا ببيعةِ الأولِ فالأولِ، أعطوهم حقَّهم، فإنَّ اللهَ سائلُهم عما استرعاهُم»** أخرجه البخاري. هذا وقد يبين لنا ﷺ أن نظام الحكم في الإسلام من بعده هو نظام الخلافة الفريد الذي لا يشبهه أي نظام آخر من صنع البشر في الأرض. أو قوله ﷺ: «**تكونُ النُّبُوَّةُ فيكم ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرْفَعُها اللهُ إذا شاء أن يرفعها ثم تكونُ خلافةٌ على مِنهاجِ النُّبُوَّةِ فتكون ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرْفَعُها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكونُ مُلْكًا عاضًّا، فتكونُ ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرْفَعُها إذا شاء اللهُ أن يرفعها. ثم تكونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فتكونُ ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرْفَعُها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكونُ خلافةً على مِنهاجِ النُبُوَّةِ. ثم سكت**» أخرجه أحمد.

وهنا يستقيم المعنى، أي: لتبذل طائفة منكم جهدها في تبليغ شرع الله، وفي دعوة الناس إلى الخير،

ونستدل من هذا التبعيض.

وعلى هذا فقد اشتملت الآية الكريمة على طلبين:

أحدهما: وجه إلى الأمة كلها يطالبها بأن تعد من بينها جماعات لهذه المهمة السامية وهي دعوة الناس إلى الخير، على أن تكون مزودة لهذه المهمة بكل ما يمكِّنها من أداء مهمتها.

وثانيهما: موجه إلى تلك الطائفة الصالحة لهذه المهمة، بأن تخلص فيها، وتؤديها على الوجه الأكمل الذي يرضى الله سبحانه

و (ويأمرون) و (وينهون) أي يأمرون الناس

وينهون الناس، وما أولئك الآمرون والناهون إلا السياسيون، لأن السياسة في الإسلام تعريفًا هي رعاية الشؤون، وهي من ساس يسوس وسائس وسياسي (فسائس الخيل من يرعى شؤونها) بينما السياسة عند غير المسلمين هي فن المكر والخداع، وفن المراوغة والكذب، تقوم على الذرائعية، والأهداف تبرر الأساليب.

نعم السياسة في الإسلام هي رعاية الشؤون، فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، كل في مجاله، فالمرأة في بيتها راعية، وأما في مجال عمل هذه الطائفة المقصودة في هذه الآية الكريمة فهو رعاية شؤون الأمة الإسلامية قاطبة بشرع الله، به يأمرون الناس وبه ينهونهم.

فبعد أن أمرهم الله سبحانه بتكميل أنفسهم عن طريق خشيته وتقواه والاعتصام بدينه، عقب ذلك بأمرهم بالعمل على تكميل غيرهم وإصلاح شأنهم عن طريق دعوتهم إلى الخير وإبعادهم عن الشر.

والمراد بـ (المعروف) هو كل حسن حسَّنه الشرع، وبـ (المنكر) ضد ذلك مما هو قبحه الشرع.

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفايات، لأنه لا يصلح له إلا من عَلِمَ المعروف وعلم المنكر، وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته وكيف يباشره، فربما نهى الجاهل عن معروف وأمر بمنكر، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب آخر فنهى عن غير منكر، وقد يَغلظ في موضع اللين، ويلين في موضع الغلظة، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تماديًا، أو على من الإنكار عليه عبث، لذلك كان أفراد هذا الأحزاب المقصودة مميزون بالكفاءة.

لقد تم تناول الموضوع من كتاب الله وحده، وسنكمل بالتعرف على المعنى نفسه من فعل رسول الله ﷺ كيف طبق هذه الآية مع تكتل الصحابة الكرام. [يتبع]

حسبك بأمر يأبى الله إلا أن يتم

﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾

غادة عبد الجبار (أم أواب) - الخرطوم

لا شك أن الهجومَ على ثوابتِ الإسلام قديمٌ متجددٌ، ومؤكد أن أعداء الإسلام لا يألون جهدًا في محاربة هذا الدين بكل وسيلة قديمة وحديثة، وما فتئوا يحاولون تشكيك المسلمين في دينهم، ومن ذلك دعواهم أنّ القرآن ليس كتابًا سماويًا، وأنّه من تأليف محمد ﷺ، وأنّه مليء بالخرافات والأساطير وغير ذلك. ومعلوم أن من القواعد المقررة في دين الإسلام، أن ملةَ الكفر واحدةٌ، وأنهم لن يرضوا عن المسلمين إلا إذا تركوا دينهم، وأن عداء الكفار للإسلام عامةً وللقرآن الكريم بخاصةً باقٍ أبد الدهر، لن يتغير ولن يتبدل. وقد زاد الهجوم حِدةً واتساعًا مع انتشار وسائل الإعلام المختلفة، وسيطرة دول الغرب على بلاد المسلمين، وهذه الهجمةُ المعاصرةُ على ثوابت دين الإسلام ما هي إلا هجمةٌ ممنهجةٌ ومخططٌ لها من أعداء الإسلام، بل ومدفوعة الأجر، ولعلنا في هذا الصدد نتناول بعضًا من أساليب ووسائل هذه الهجمة الشرسة.

إن الهجمةَ على ثوابت دينِ الإسلام في زماننا هذا، تزدادُ شراسةً من أعداء الإسلام وأذنابهم، ويشارك فيها أشباهُ العلماء، ممن يُظهرون التَّزَيِّي بزي العلماء، والعلمانيون، والليبراليون، والقرآنيون، والماركسيون، وممنْ يُسَمَّون بالمفكرين وغيرهم، وأن هذه الهجمة قد طالت القرآن الكريم، المصدر الأول للإسلام، فشككوا في كماله، وزعموا نقصانَهُ وتحريفَهُ، وأنه لا يصلح لهذا الزمان، فلا بد من تطويره وإعادة قراءته بطريقة جديدة توافق العصر والأوان!

ولنبدأ بفرنسا التي تعمل على إبطال سور وآيات قرآنية، خاصة تلك التي تدعو إلى «قتل ومعاقبة يهود والنصارى والملحدين»، فقد نشرت صحيفةُ «لوباريزيان» الفرنسية بتاريخ ٢٠١٨/٤/٢٢م البيانَ المأفون بعنوان: (ضد معاداة السامية الجديدة)، موقعًا من الرئيس الفرنسي السابق (نيكولا ساركوزي) و٣٠٠ شخصية عامة، منهم مثقفون ومسؤولون دينيون يهود وكاثوليك، ومنهم بعض من ينتسبون إلى الإسلام، من أتباع الفرانكفونية كالأديب الفرانكوفوني الجزائري (بوعلام صنصال)، وطالبوا بحذفِ وإبطالِ سورٍ من القرآن الكريم. لم تقم هذه الثلة الآثمة بهذا العمل عبطًا، بل لأنهم يعتبرون القرآن هو المصدر الأساس لقوة المسلمين، وبقاؤه حيًا بين أيديهم يؤدي إلى عودتهم لقوتهم وحضارتهم، وهي كذلك حق، عبر عنه قبلهم سلفهم غلادستون، حيث قال: «ما دام هذا القرآن موجودًا، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان كما رأينا» [كتاب الإسلام على مفترق الطرق صفحة ٣٩].

ويأتي هذا البيان في سياق صنعِ إسلام على مقاس فرنسا، حسب رغبة الرئيس الفرنسي (إيمانويل ماكرون) في وضع أسس تنظيم الإسلام في فرنسا، وزعم الموقعون على البيان

أن المطالبة بتعديلِ نصوصِ القرآن، جاءت على نحو مشابهٍ للتعديل الذي تمَّ على نصوص الإنجيل، حيث تمَّ حذفُ مقاطع من كلام الإنجيل المحرف المتعلقة بلعنة يهود، بموافقة الكنيسة، وهنا يعترفون بأنهم يكتبون كتابهم المقدس بأيديهم، كما قال القرآن، ساعين غير موفقين بإذن الله، ليطال التحريف كتاب الله القرآن الكريم. وطالب البيان المأفون أن تعلن السلطات الدينية الإسلامية في فرنسا أن آيات القرآن التي تدعو إلى قتل ومعاقبة يهود والنصارى وغير المؤمنين باطلةٌ، كما حدث في عدم التجانس في الكتاب المقدس، ومعاداة السامية الكاثوليكية، التي ألغاها الفاتيكان، حتى لا يتمكن أيُّ مؤمنٍ من الاعتماد على نصٍّ مُقدسٍ لارتكاب جريمة، لكن هذا الجهد لرأب صدعهم، لن ينتج، لأن الله تعالى بيَّن أنهم ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

هكذا بكل بساطة يترجمون مقالة (تاكلي)؛ أحد المبشريين الغربيين، في الحرب على نصوص القرآن: «حتى نقضي عليه تمامًا، يحب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدًا، وأن الجديد فيه ليس صحيحًا»، لكنها محاولات مصيرها الفشل ولا بد.

نعم إن كتبهم المقدسة غير متجانسة لأنها خليط مما أُنزل على أنبيائهم، ومن أباطيل رجال الدين، ولكن القرآن الكريم كله من عند الله، فلا يزاد ولا يُحذف منه حرفٌ بإذن الله الذي تكفل بحفظه، ومع ذلك فأناجيلهم وتوراتهم المحرفة تعج بالعداء والقتل والتقتيل، أفلا ينظرون فيها لحذف التقتيل بغير مبرر؟!

ورد في إنجيل متى/ إصحاح ١٠: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأعداء الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ».

وفي سفر التثنية/ إصحاح ٢٠: «حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا. وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا، بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا - معنى «التحريم» هنا القتل -: الْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، لِكَيْ لاَ يُعَلِّمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَاسِهِمِ الَّتِي عَمِلُوا لآلِهَتِهِمْ، فَتُخْطِئُوا إِلَى الرَّبِّ إِلهِكُمْ». وغير ذلك كثير من مرشدات القتل بغير سبب إلا الخلاف في الاعتقاد!

وتتزامن هذه الهجمات على الإسلام بهجمات أخرى مادية على المسلمين، سجون فتحت، وضربات موجعة على حملة الدعوة، من إعدام، وحشود عسكرية يصنعها الكافر المستعمر أو أذياله في كل حين.

ومع هذه وتلك، يحدث ما لا يتوقعه أعداء

الإسلام، فالإسلام يحظى على كل ديانة بالنصيب الأكبر من المعتنقين، خاصة في الغرب، ولعل رعبهم من الإسلام يتجلى في حديثهم المتكرر عنه، حيث أصبحت وكالات الأنباء تتحدث عن الإسلام، وأصبح حديث الساعة والمقولات والصحف والدوريات كله عن الإسلام، مما شجع الناس على الاطلاع على الإسلام من باب العداء، لكنهم يجدون فيه المخرج حيث الإيمان بالله يحل عقدتهم الكبرى، ويجلب الطمأنينة والسعادة التي لطالما بحثوا عنها في الرأسمالية، فوجدوها هباء، وليس آخرهم (يوران فان كلافرن) النائب الهولندي السابق، وعضو الحزب اليميني المتطرف، الذي أسلم بعد عداء سافر للإسلام والمسلمين.

بعد كل فشل يجنيه أعداء الإسلام، يزداد مكرهم فاخترعوا اسما للإسلام من عند حقدهم الدفين عليه، فهم لا يسمونه الإسلام بهذا الاسم الذي أنزله الله تعالى، وإنما يسمونه (الأصولية)، أو (التطرف) أو (الإرهاب) أو نحو ذلك من العبارات، وجنَّدوا أنفسهم لمحاربة المسلمين بأيدي حكامهم! فكم من سجون فتحت، وضربات موجعة وجهت إلى حملة الدعوة، تحت عنوان محاربة (الإرهاب) و(التطرف)، وكم من قتيل وإعدام بتهم ملفقة، وحشود عسكرية يصنعها الكافر المستعمر أو أذياله باسم محاربة (الإرهاب) في بلاد المسلمين، قصدها القتل والتدمير لإشغال المسلمين بذلك؟ وهم وأتباعهم لا يعون أن الله عز وجل أخذ على نفسه أن يتخذ شهداء، وأن يبتلي المؤمنين، وأن يمحصهم بزلازل، قال ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝﴾.

وأعداء الإسلام لا يملون من محاولاتهم تغيير الطرق والوسائل والأساليب، لحرب الإسلام، فقد نشر موقع «ذا إنترسبت» تقريرًا يكشف عن مذكرة مسربة عن وزارة الخارجية الأميركية، نصحت فيها إدارة الرئيس دونالد ترامب بالدفع باتجاه الإصلاح الإسلامي، ويشير التقرير، الذي ترجمته «عربي٢١»، إلى أن هذه النصيحة جاءت في ضوء دعم الجهود لمواجهة التأثير الإيراني وتنظيم الدولة في العراق وسوريا، ويكشف التقرير أنه لم يتم تبني هذه الفكرة في استراتيجية الأمن القومي التي أعلن عنها في كانون الأول/ديسمبر، إلا أن فكرة الإصلاح الإسلامي كانت موضوع نقاش على أعلى المستويات من وزارة الخارجية، إلى مجلس الأمن القومي، ما يؤكد صعود اليمين المتطرف في أميركا من الهامش إلى المركز، وتأثيره في رسم السياسة الخارجية، ويلفت التقرير إلى أن فريق تخطيط السياسات في وزارة الخارجية تقدم بالوثيقة صيف عام ٢٠١٧م؛ حيث كان مجلس الأمن القومي يعد استراتيجية إدارة ترامب للأمن القومي، وركزت الوثيقة على «التنافس الأيديولوجي»، وكان وزير الخارجية في ذلك الوقت هو ريكس تيلرسون، الذي أبعد نفسه عن خطاب الرئيس ترامب المعادي للإسلام، فعين مكانه وزير الخارجية الحالي مايك بومبيو في نيسان/أبريل، الذي يملك سجلًا واضحًا في معاداة الإسلام، ما جعل الكثيرين يشعرون بالقلق من الطريقة التي ستتعامل فيها الخارجية مع الإسلام.

وينوه التقرير إلى أنه تم إنشاء وحدة فريق تخطيط السياسة في عام ١٩٧٤م، وهي تعد مركز بحث داخل الوزارة، ويترأسها أحد الصقور السابقين في إدارة بوش، بريان هوك، الذي كان مديرًا للوحدة وقت إعداد المذكرة، مشيرًا إلى أنه بحسب موقع المركز على الإنترنت، فإن هوك وفريقه يتعاملون «برؤية استراتيجية طويلة الأمد مع التوجهات الدولية»، ويفيد التقرير بأن المذكرة تقدم تفاصيل حول كيفية تحقيق ما يطلق عليه الإصلاح، وتتضمن فقرة مثيرة حول استخدام تقوية المرأة لتوسيع أهداف الإمبراطورية الأميركية؛ حيث تقول: «هناك جماعتان مهمتان مستهدفتان، وهما المرأة والشباب، مع أنهما ليستا وحدهما الهدف الوحيد المحتمل، فالتركيز على تقوية المرأة باعتباره هدفًا رئيسيًا لإيصال الرسائل في داخل عالم التأثير على الإسلام، سيسمح لأميركا بالحفاظ على المكونات الأخلاقية الأميركية وروايتها الليبرالية»، ويورد التقرير نقلًا عن أستاذ القانون والدين في جامعة جورج واشنطن، روبرت تاتل، قوله إن «حكومة الولايات المتحدة لا تعبر عن مواقف تتعلق بالموضوعات الدينية»، مع أن النقاش حول المادة المتعلقة بالدين وعلاقتها بالسياسة الخارجية لم تتم تسويته، وأضاف تاتل: «يمكن أن تناقش أن هذه المادة لا يمكن أن تطبق في الخارج لكنها تصلح في الشؤون المحلية»، مشيرًا إلى أن المحكمة العليا لم تصدر قرارًا قاطعًا في الموضوع، ومع ذلك فإنها أدخلت النقاش الديني في سياستها عندما كان شعار حملة ترامب الانتخابية، منع المسلمين من دخول أميركا، وكان شعاره المفضل «الإسلام الراديكالي المتطرف»، وشجب موقف منافسته هيلاري كلينتون والرئيس باراك أوباما لتجنبهما استخدام هذا المصطلح.

بالرغم من كل ذلك العداء الفاحش للإسلام ومحاربته بكل ما في أيدي الغرب، لكن هناك بشرى سارة للمسلمين، وهذا ليس بخافٍ على الأعداء، وليس من الأسرار التي لا تذاع، ولكنه أصبح علنًا على مستوى العالم، أن الانتصار لهذا الدين هو وعد الله سبحانه وبشرى رسول الله ﷺ، فبشائر النور قد أطلت، والحمد لله، فها هم المسلمون يتدرجون في الوعي رغم أنهم لم يستقلوا بعد من الكفار، وأن حكامهم هم أنفسهم الأعداء، فقد نصبهم الغرب ليقمعوا المسلمين، ويعيشوهم في أنظمة الاستبداد ظنًا منهم أنهم سيؤخرون عودة الإسلام بالباطل الذي يحكمون به بلاد المسلمين، طاش سهمهم مرة أخرى ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾. قيل لوزير المستعمرات الفرنسي لاكوست... لماذا لم يتأثر أهل الجزائر، وقد مكث الاحتلال فيها (١٢٩ عامًا)؟ قال: «وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا». [جريدة الأيام عدد (٧٧٨٠) الصادرة بتاريخ (٦ كانون أول ١٩٦٢م)].

إن المستقبل، لا شك، لهذا الدين، قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة:٢١] والعاقبة للمتقين كما وعد الله سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾. ■

ماكرون: حلف الناتو في حالة "موت سريري"

قال الرئيس الفرنسي ماكرون في مقابلة مع مجلة "ذا إيكونوميست" البريطانية، نُشرت في ٢٠١٩/١١/٠٧م: "ما نعيشه اليوم هو حالة موت سريري لحلف الناتو" مُضيفًا: "يجب توضيح الأهداف الاستراتيجية التي يسعى إليها حلف الناتو". أما بما يتعلق بالتطورات الأخيرة في سوريا التي شهدت انسحابًا للقوات الأميركية وهجومًا تركيا على الأكراد، قال ماكرون: "لا يوجد أي تنسيق يتعلق بالقرار الاستراتيجي للولايات المتحدة مع باقي الشركاء في حلف الناتو. أضف إلى ذلك، نحن نشهد اليوم اعتداء يقوم به شريك لنا في الحلف وهو تركيا، وهذا يحدث في منطقة نمتلك فيها مصالح على المحك. كل هذا يحدث من دون تنسيق". وأضاف: "ما حدث هو مشكلة كبيرة جدًا بالنسبة لحلف الناتو". وتعليقًا على مستقبل أوروبا، حذر ماكرون من احتمال اختفاء أوروبا في حال لم تتصرف كقوة واحدة معتبرًا أن ابتعاد أميركا عن المشروع الأوروبي وصعود الصين يؤديان إلى تهميش أوروبا. وفي هذا الشأن قال ماكرون: " أوروبا ستختفي في حال لم تفكّر كقوة". كما شدد ماكرون على ضرورة أن تعمل أوروبا على امتلاك قدرة عسكرية ذاتية استراتيجية من أجل تأمين الاستقلالية الدفاعية، مضيفًا: "من جهة أخرى يجب فتح حوار استراتيجي بطريقة واعية مع روسيا". واعتبر ماكرون أن الاتحاد الأوروبي يُنهك نفسه بسبب أزمة البريكست، وحذر قائلًا: "في حال لم نستيقظ ولم ندرك مدى خطورة الوضع لاتخاذ القرارات، عندها قد نختفي على الساحة الجيوستراتيجية، ولن نكون أسياد مصيرنا".

الوعي: إن أوروبا تلقب بالقارة العجوز، ومهما حاولت العجوز أن تتزين وتدعي الشباب فلن تنفعها التزاويق؛ خاصة وأن مبدأهم الحضاري الفاسد هو بحد ذاته أصبح ذابلًا ينتظر إعلان موته... إنها أزمة قارة وأزمة حضارة.

نتنياهو: بعض الدول العربية لم يعُد يعاملنا كعدو بل كحليف

صرّح رئيس الوزراء (الإسرائيلي) بنيامين نتنياهو في كلمة له في المؤتمر السنوي لوسائل الإعلام المسيحية الدولية المقام في القدس في ٢٠١٩/١١/٠٣م، بأن الدول العربية لم تعُد تتعامل مع (إسرائيل) "كأنها عدو، بل يُتعامَل معها كحليف ضروري في مكافحة الإسلام المتطرف الذي يقوده السنّة المتطرفون، تنظيما القاعدة وداعش الإرهابيان، والإسلام الشيعي المتطرف بقيادة

إيران وأتباعها". وأضاف أن "الدول العربية تعترف بأن هذا التشدُّد يعرّضها للخطر كما يعرّض إسرائيل للخطر؛ لذلك فلدينا مصلحة مشتركة، ولكن علاوة على المصلحة المشتركة التي تجمعنا ضدّ عدو مشترك، فإن العلاقات بيننا بدأت تشهد تطبيعًا في مجالات متنوعة". هذا ليس فقط لطرد الشر، ولكن أيضًا لرعاية الخير، وذلك من خلال علاقات اقتصادية وتكنولوجية وغيرها. هناك تغيُّر واضح، وهذا مهم لأنه في نهاية المطاف هكذا سنحقّق السلام.

الوعي: إن نتنياهو يعلم أكثر من غيره أن تطبيع الأنظمة الحاكمة في بلاد المسلمين معه هو تطبيع أنظمة وليس تطبيع شعوب، وأن هذا التطبيع يزيد كره الشعوب لحكامهم، ولن يزيدهم منها إلا إصرارًا على استعادة فلسطين، أرض الإسراء والمعراج، الأرض المباركة... من شذاذ الآفاق هؤلاء.

مطبِّعون عرب مع (إسرائيل) يعلنون عن إنشاء مجلس لهم

نشرت صحيفة "نيويورك تايمز" تقريرًا ترجمته "عربي٢١ لمراسلها ديفيد هابلفينغر، تحت عنوان "مفكرون عرب يدعون للتخلي عن المقاطعة والتعاون مع إسرائيل" يتحدث فيه عن محاولات هذه المجموعة الدفع باتجاه التعاون نظريًا مع (إسرائيل) ومساعدة مجتمعاتهم. ويشير التقرير إلى أن المجموعة تطلق على نفسها اسم "المجلس العربي للاندماج الإقليمي"، وعددهم بالعشرات منتشرة في بلاد عربية مختلفة، ومكونة من صحافيين عرب وفنانين وسياسيين ودبلوماسيين وباحثين في القرآن ممن يشتركون بالنظرة التي ترى أن محاولات عزل (إسرائيل) وشيطنتها كلفت الشعوب العربية مليارات الدولارات في التجارة. ويفيد هابلفينغر بأن المشاركين حصلوا على تشجيع من رئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير الذي أثنى على جرأتهم للحديث علانية. ومن أهم الشخصيات المعروفة ابن أخ الزعيم المصري أنور السادات، ومن بينهم أيضًا رئيس تحرير مجلة "المجلة" السعودية مصطفى الدسوقي، ومنهم المحلل الأميركي العراقي من أصول يهودية، جوزيف برود. ويكشف الدسوقي إلى أنه بينهم رجل دين من طرابلس في شمال لبنان، يدعى صلاح حامد، الذي شارك في المؤتمر رغم مخاوف من تعرضه لانتقام في حال عودته إلى البلاد. وتنقل الصحيفة قول حامد: "لا ننكر حق اليهود بأن تكون لهم دولة"، مشيرًا إلى معاملة النبي الجيدة لليهود.

الوعي: هذه محاولة من المحاولات الخسيسة التي يراد من ورائها التطبيع الشعبي مع الكيان المسخ لأن التطبيع على مستوى الحكام حاصل. وتعتبر مثل هذه المحاولات الخيانية التي دب النشاط فيها مع ابن سلمان وابن زايد السيئي الذكر معزولة حيث تعتبر عند المسلمين من القضايا المصيرية التي لا تمس.

بيت العائلة الإبراهيمية بأبو ظبي.. مشروع يجمع بين مسجد وكنيسة وكنيس

أعلنت دولة الإمارات العربية المتحدة مؤخرًا عن خطط لبناء صرح يجمع بين الديانات السماوية الرئيسية الثلاث، أي المسيحية، واليهودية، والإسلامية، وهو يُدعى بيت العائلة الإبراهيمية. ومن المقرر تشييده في جزيرة السعديات بالعاصمة الإماراتية أبوظبي. وعقدت اللجنة العليا للأخوة الإنسانية اجتماعها العالمي الثاني في مدينة نيويورك الأميركية في ٢٠١٩/٠٩/٢٠م، وفقًا لما نقلته وكالة الأنباء الإماراتية "وام". وخلال الاجتماع، كشفت اللجنة الستار عن مشروع بيت العائلة الإبراهيمية، والذي سيضم كنيسة، ومسجد، وكنيس تحت سقف صرح واحد، وذلك "ليشكل للمرة الأولى مجتمعًا مشتركًا تتعزز فيه ممارسات تبادل الحوار والأفكار بين أتباع الديانات" بحسب ما ذكرته الوكالة. وسيضم بيت العائلة الإبراهيمية ثلاثة مبانٍ منفصلة يُخصص كل واحدة منها على حدة لديانة، وحديقة رئيسية خاصة للمجمع، إضافةً إلى مبنى رابع يعمل كمتحف ثقافي يجتمع فيه الأشخاص بمختلف انتماءاتهم. وأشارت "وام" بأن المبنى سوف يحتضن برامج تعليمية، وفعاليات متنوعة هدفها تعزيز التبادل والتعاون الثقافي والإنساني. وبدأت حاليًا الخطوات الأولى لتنفيذ المشروع، وسيتم افتتاحه في عام ٢٠٢٢م. ولا يُعد بيت العائلة الإبراهيمية أول خطوة تتخذها الإمارات فيما يتعلق بمجال تعزيز قيم التسامح؛ إذ تم وضع حجر الأساس في أول معبد هندوسي في أبوظبي في أبريل/نيسان في عام ٢٠١٩. وفي فبراير/شباط من هذا العام أيضًا، ترأس بابا الفاتيكان، البابا فرانسيس، أول قداس بابوي في شبه الجزيرة العربية، بأستاد مدينة زايد الرياضية في أبوظبي، وتزامنت هذه الأحداث مع ما يُعرف بـ"عام التسامح" في الإمارات.

الوعي: إن كل من يتابع عداء حكام الإمارات لكل ما هو إسلامي يأخذه التساؤل: ما وراء هذا العداء؟ هل هو الخوف على عروشهم؟ هل هو مصانعة الغرب؟ هل هؤلاء قوم قشرة ليس لبُّهم كَلُبِّ المسلمين... إنهم يستحقون في عدائهم الألدِّ للمسلمين والإسلام أن يدخلوا موسوعة غينيتز، نقول ذلك لأنهم يحبون أن يقال عنهم مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله عليهم.

محقق كاثوليكي في قضايا التستر على جرائم التحرش داخل الكنيسة متهم بالتحرش!

أفادت وسائل إعلام بأن أسقفًا كاثوليكيًا فوَّضه البابا فرنسيس بالتحقيق في كيفية تعامل الكنيسة مع اتهام بعض كهنتها في مدينة بوفالو الأميركية بالتحرش، هو نفسه يواجه اتهامات بالتحرش بالأطفال. وحسب تقرير نشرته وكالة "أسويشتد برس" أبلغ المحامي من بوسطن، ميتشل غارابيديان، الكنيسة رسميًا بأنه يستعد لرفع دعوى قضائية ضد المحقق الكاثوليكي، الأسقف نيكولاس دي مارزيو، وذلك نيابة عن المواطن مارك ماتزيك (٥٦ عامًا) الذي ادعى أنه تعرض منتصف سبعينات القرن الماضي (عندما كان قاصرًا) لاعتداءات جنسية متكررة على يد

دي مارزيو والقسيس الآخر الراحل، ألبرت مارك. وطالب المحامي الكنيسة الكاثوليكية بدفع تعويضات بقيمة ٢٠ مليون دولار إلى موكله. وشدد غارابيديان، الذي اكتسب شهرة واسعة لدوره في حماية ضحايا التحرش من قبل ممثلين عن الكنيسة الكاثوليكية، على أن الاتهامات الجديدة تنسف مصداقية التحقيق الذي فوض البابا فرنسيس قبل شهر دي مارزيو بإجرائه. من جانبه، نفى الأسقف دي مارزيو قطعيًا الاتهامات الموجهة إليه، مبديًا قناعته بأنه سيتمكن من تبرئة ساحته قريبًا. وجاء ذلك ضمن سلسلة الفضائح التي هزت الكنيسة الكاثوليكية خلال العقود الماضية، على خلفية الكشف عن تعرض مئات الأطفال لجرائم التحرش على أيدي كهنة.

الوعي: إن ما يكشف عن فضائح الكنيسة الكاثوليكية هو غيض من فيض، ففي ولاية بنسلفانيا وحدها تتهم السلطات أكثر من ٣٠٠ قس كاثوليكي في جرائم اعتداء وتحرش جنسي بالأطفال، ارتكبت خلال ٧٠ عامًا، في منطقة تابعة لستة إلى ثمانية أبرشيات في الولاية، ويعتقد أن عدد الضحايا الحقيقيين يزيد عن ١٠٠٠؛ لم تبلَّغ السلطات عنها، وهذه الجرائم يتم التعتيم عليها على مدى عقود من قبل مسؤولين كنسيين رفيعي المستوى في بنسلفانيا وفي الفاتيكان.

عشرات الألوف في فرنسا ينددون بالعنف ضد النساء

خرج عشرات الآلاف من الأشخاص إلى شوارع باريس وعدد من المدن الفرنسية في ٢٠١٩/١١/٢٣م للاحتجاج على العنف القائم على التمييز على أساس الجنس والعنف الجنسي وجرائم قتل النساء التي يثير عددها المتزايد (١١٦ ضحية) منذ مطلع العام، موجة تنديد عارمة غير مسبوقة في البلاد. ففي باريس، شارك في التظاهرة حوالى ٤٩ ألف شخص معظمهم نساء، وردد المحتجون هتافات مناوئة للعنف الأسري، ورفعن لافتات باللون القرمزي سجلت أسماء نساء قُتلن من قبل أزواجهن أو شركائهن. وكُتب عليها شعارات منها "كفى قتلاً". واعتبرت هذه التظاهرة "إحدى أكبر المسيرات في تاريخ فرنسا ضد العنف"، مشيرةً إلى أن عدد المشاركين بلغ حوالي ١٥٠ ألف شخص في جميع أنحاء فرنسا بينهم مئة ألف في باريس. ونُظمت نحو ٣٠ مسيرة في مناطق أخرى بفرنسا هتف فيها المتظاهرون بشعارات من بينها "لتسقط الذكورية". وتهدف هذه المسيرات إلى الضغط على الحكومة من أجل العمل على وضع حد لهذه الآفة. ومن المقرر أن يعلن رئيس الوزراء إدوار فيليب إجراءات في هذا الصدد. وأظهرت بيانات رسمية ان نحو ٢١٣ ألف امرأة كل عام تقع ضحية للعنف الجسدي أو الجنسي أو الاثنين معاً، من قبل شريكها أو شريك سابق. وفي إيطاليا أيضاً، تظاهر عشرات الآلاف في روما تنديداً بالعنف ضد النساء تلبية لدعوة وجهتها منظمة نسائية. وجال الحشد الذي ضم غالبية نسوية، في وسط العاصمة خلف لافتة كُتب عليها "ضد عنفكم، نحن الثورة".

الوعي: هذا الخبر يشير كم أن الحضارة الغربية هي فاسدة وظالمة لأهلها قبل غيرهم. ومن الغريب العجيب أنهم يريدون أن يعمموها على العالم ويسوقوها بين المسلمين.

قال الله تعالى

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾.

جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه
عطاء بن خليل أبو الرشته
أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

١. تستمر الآيات في الإنفاق ولكن الله سبحانه يذكر خلالها جزءًا من الآية كأنه في ظاهره لا علاقة له بالإنفاق.

والمعروف في لغة العرب أن العربي الفصيح لا يكون كلامه على غير نسق، فإن بدأ في كلامه جزءًا على غير اتصال بالسابق واللاحق فإنه يكون مقصودًا، ويكون المتكلم قد أخفى الصلة بين هذا الجزء وباقي الكلام ولم يجعلها صريحة الظهور لتكون مدعاة للوقوف عندها للتعمق في اكتشافها ولفت النظر إليها بهذا الأسلوب من النظم البديع. وهذه الآية الكريمة، كذلك فإن ما سبقها كان في الإنفاق وما تبعها في الإنفاق، وظاهر مدلول ألفاظها على غير ذلك؛ فيكون التركيز عليها والوقوف عندها لاكتشاف هذه الصلة وتدبرها بعمق مقصودًا لله سبحانه. وبتدبر هذه الآية

الكريمة يتبين أننا غير مكلفين بإجبار الناس على الهداية والدخول في الإسلام فليس في مقدورنا ذلك، بل الله يهدي من يشاء. أما نحن فندعو للإسلام ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، فإن استجابوا فذلك الفضل من الله، فالله وحده القادر على هداية الناس أجمعين ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا ﴾.

وبتدبر هذا المعنى نتساءل الآن عن صلة هذا الجزء من الآية الكريمة مع ما قبلها، مما هو خاصّ بالإنفاق وما بعدها مما هو خاصّ بالإنفاق كذلك.

إن حرص الإنسان على هداية من يحب وإسلامه من قريب أو صديق قد تدفعه للضغط عليه ليكرهه على الدخول في الإسلام، ومن هذه الأساليب استعمال المال في ذلك، فإن كان ينفق عليه قد يمنع عنه النفقة كي يسلم أو يشترط إسلامه للنفقة عليه، فمنع الله المسلمين من استعمال النفقة أسلوبًا لإكراه أقربائهم أو من لهم بهم علاقة للدخول في الإسلام. فتدبر الآية الكريمة والوقوف عندها يفيد أمرين:

الأول: أنَّ الدخول في الإسلام أو الهدى يحتاج إلى قناعةٍ ورضًى واختيارٍ وليس بالإكراه والإجبار.

الثاني: أن لا تستغل النفقة على الأقارب أو من لهم علاقة لإكراه الناس على اعتناق الإسلام.

ويؤكد ذلك ما رواه بعض الصحابة في سبب نزول هذه الآية: أخرج ابن جرير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: "كانوا - أي المسلمون - لا يرضخون لقراباتهم من المشركين فنزلت ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾" يرضخون: يعطون شيئًا من أموالهم، أي كانوا لا ينفقون على قراباتهم لأنهم مشركون حتى يسلموا. وفي رواية أخرى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "كان أناس من الأنصار لهم أنسباء وقرابة من قريظة والنضير وكانوا يتقون أن يتصدقوا ويريدونهم أن يسلموا فنزلت: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ﴾".

و(يتصدقوا) الواردة في هذه الرواية بمعنى الصلة والنفقة لأن الصدقة قربة إلى الله ولا تجوز لغير المسلم.

وأخرج ابن جرير كذلك عن سعيد بن جبير: كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين حتى نزلت: ﴿ ۞لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾.

وقد ذكر القرطبي عن بعض المفسرين أن أسماء ابنة أبي بكر الصديق أرادت أن تصل جدها أبا قحافة ثم امتنعت عن ذلك لكونه كافرًا فنزلت الآية في ذلك؛وعليه فإن سياق الآيات مستمر بنسق واحد مع التركيز على عدم استعمال النفقة أو منعها لإجبار الناس على الدخول في الإسلام. ومن الجدير ذكره أن عدم إجبار الناس على الدخول في الإسلام لا يعني عدم إجبارهم على النزول عند أحكام الشرع وتطبيق أحكام الشرع عليهم من قبل الدولة الإسلامية، فذلك فرض.

ولقد ذكرنا ذلك في تفسير الآية ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ فارجع إليه.

ثم يكمل الله سبحانه آياته في الإنفاق فيبين في هذه الآية الكريمة أحكامًا أخرى للإنفاق، فقد سبق أن بيَّن الله أن الإنفاق يجب أن يكون خاليًا من المن والأذى ولا يكون رياء ولا يكون من الرديء من المال. وفي هذه الآية الكريمة يبين الله سبحانه أن من ينفق نفقة فخيرها له فهو الذي سيثاب عليها وتوفى إليه في الدنيا والآخرة وبخاصة وهو ينفقها ابتغاء وجه الله.

﴿ ۞لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ ﴾ الخطاب للرسول ﷺ وهو خطاب لأمته كذلك، والمعنى: لست مكلفًا بإجبارهم على الهدى. ومعنى التكليف آتٍ من ﴿ عَلَيۡكَ ﴾ والهدى: الإسلام.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ ﴾أي أن الله سبحانه هو القادر على هداية الناس أجمعين؛ ولكن حكمته سبحانه اقتضت أن يتركهم يختارون ﴿ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ ﴾ ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ ﴾ ﴿ مَا ﴾ شرطية ﴿مِنۡ ﴾ تبعيضية، أي جزء من خير ﴿ خَيۡرٖ ﴾مال؛ لأن الخير إذا اقترن بالإنفاق فإنه يعني المال، فإن لم يقترن فليس بالضرورة المال بل قد يأتي في غيرها ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴾.

﴿ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ ﴾ أي فهو لأنفسكم لا ينتفع به في الآخرة غيركم، والفاء داخلة على جواب الشرط.

﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ ﴾ أي يكون ثوابه لأنفسكم في حال كونكم تنفقونه ابتغاء وجه الله.

﴿ وَمَا تُنفِقُونَ ﴾ لا تنفقون والواو للحال والجملة حال. ﴿ ٱبۡتِغَآءَ ﴾ مفعول لأجله.

﴿ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ ﴾ كناية عن ذات الله سبحانه، وفي هذا الاستعمال الإخلاص الخالص لله فإن قولك: فعلت هذا لأجل زيد يحتمل أنك فعلته له وحده أو فعلته له ولغيره، أي فيه معنى الشراكة، فإن قلت: فعلته لوجه زيد كان خالصًا لزيد وحده.

وبذلك ﴿ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ﴾ أي خالصا لله وحده.

﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٧٢ ﴾ بيان للجملة الشرطية ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ ﴾ أي بيان (لأنفسكم) أنه يوفى إليكم في الدنيا والآخرة دون أن تظلموا، أي دون أن تبخسوا من الوفاء شيئًا، فالله هو الموفي وهو خير الحاكمين، في الدنيا بمباركة المال وفي الآخرة بالأجر العظيم: "**اللهم اجعل لمنفق خلفًا ولممسك تلفًا**"[1] كما يقول رسول الله ﷺ.

٢. ثم يبين الله سبحانه أن الأولوية في الصدقات للمنقطعين للجهاد الذين ينشغلون به عن السعي في الأرض طلبًا للرزق، والذين لا يلحون في سؤال الناس حتى لكأنهم أغنياء لتعففهم في السؤال، ولولا ما يظهر عليهم من أثر الجوع في الجسم ورثاثة اللباس لما عرف حاجتهم أحد. فهؤلاء أجر النفقة إليهم عظيم، والله سبحانه بخالص النية في الصدقة عليم.

١ البخاري: ١٣٧٤، مسلم: ١٠١٠

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي صدقاتكم للفقراء، واللام للتعدية أي أن يحرص المتصدق أن تعطى صدقته للفقراء ﴿ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الذين انقطعوا للجهاد، أي أَحْصَرَهم الجهاد في سبيل الله.

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي لا يستطيعون تنقلًا في الأرض للسعي لطلب الرزق لانشغالهم بالجهاد. (فالحصر) هو المنع، فكلّ من شغله الجهاد عن السعي لطلب الرزق أو كلّ من أصيب بجراح في الجهاد جعله لا يقدر على السعي لطلب الرزق تنطبق عليه هذه الآية، ففي الإنفاق عليه أجر عظيم. وهي تنطبق كذلك على من كانوا يسمون (أهل الصُّفَّة) في زمن رسول الله ﷺ الذين كانت العلة والجهاد يحبسهم عن طلب الرزق ويخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ كما ذكر ابن عباس - رضي الله عنهما -. فهؤلاء وأولئك لهم الأولوية في النفقة من الفقراء الآخرين الذين لا يحبسهم الجهاد وهم يستطيعون أن يسعوا في الأرض لطلب الرزق.

﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ أي من أجل تعففهم عن المسألة فـ﴿مِنَ﴾ للتعليل والتعفف ترك الشيء والإعراض عنه مع القدرة على تعاطيه.

﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي أثر الجوع على الأبدان ورثاثة الحال.

﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ﴾ أي إلحاحًا، وهو اللزوم وأن لا يفارق إلا بشيء يعطاه، من قولهم: لحفني من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده. وأصل اشتقاق الإلحاف من اللحاف، سمي بذلك لاشتماله على وجوه الطلب في المسألة كاشتمال اللحاف في التغطية، أي هذا السائل يعم الناس بسؤاله ويلازمهم حتى يعطوه فكأنه ألحفهم بذلك.

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ أي يجازيكم به خيرًا، وهو ترغيب في الإنفاق.

٣. بعد ذلك يبين الله سبحانه الأجر العظيم والمنزلة الرفيعة لأولئك الذين لا يبخلون بأموالهم في سبيل الله في جميع الأوقات وجميع الأحوال فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ أي في جميع الأوقات والأحوال، وقدم الليل على النهار والسر على العلانية للإشارة إلى مزية الإخفاء على الإظهار.

﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ سبق شرحها.

ذكر ابن سعد في الطبقات أن هذه الآية نزلت في علف الخيل المربوطة في سبيل الله.

وأخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن يزيد بن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده عن عريب أن رسول الله ﷺ سئل عن قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ الآية، قال: "**هم أصحاب الخيل**"[٢].

٢ الدر المنثور: ١٠٠/٢، ابن سعد: ٤٣٣/٧ عن يزيد بن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده عريب.

وكلمة أخيرة في هذا الموضوع: إن الله سبحانه بيَّن في الآيات السابقة أجر النفقة في سبيل الله وأنها إلى سبعمائة ضعف، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم. ثم يبيِّن الله سبحانه شروط النفقة المقبولة عند الله:

= فأن تكون بدون منٍّ ولا أذى: ﴿ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾.

= وأن لا تكون رياء ﴿ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ ﴾.

= وأن لا تكون من الخبيث ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ ﴾.

ثم بيَّن الله سبحانه عدم استغلال النفقة والصلة للأقارب وذوي العلاقة لإكراههم على الدخول في الإسلام بل بالإقناع والاختيار ﴿ ۞لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ ﴾.

وكذلك بيَّن سبحانه أن النفقة تعود على صاحبها بالخير إذا كانت خالصة لله فليكثر منها لينال الجزاء الأوفى ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٢ ﴾.

ويختم الله سبحانه الآيات في النفقة الطيبة في سبيل الله في جميع الحالات والأوقات؛ ليحصل المرء على الأجر العظيم عند رب العالمين وليكون آمنًا على مستقبله إلى يوم القيامة ومطمئنًا بمغفرة الله له على ما مضى من أيامه، فيكون في فوز الدارين، وذلك الفوز العظيم ﴿ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤ ﴾.

كل ذلك في النفقة في سبيل الله الحلال الطيبة الخالصة لوجهه سبحانه. ■

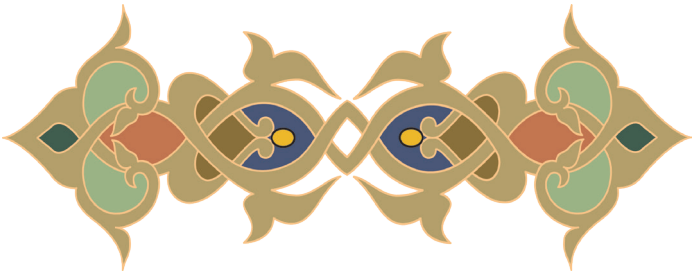

إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ

عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ، فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ. فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيًا، فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: «**قَسَمْتُهُ لَكَ**»، قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: «**إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ**»، فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَهُوَ هُوَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ**»، ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: «**اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ**» رواه النسائي.

عن أبي ثابت، وقيل: أبي سعيد، وقيل: أبي الوليد، سهل ابن حُنَيْفٍ وَهُوَ بدريٌّ ﷺ: أَنَّ النَّبيّ ﷺقَالَ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**» رواه مسلم.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**» متفق عليه.

عن أبي خالد حَكيم بن حزام ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**البَيِّعَانِ بالخِيَار مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقا وَبيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا في بيعِهمَا، وإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بركَةُ بَيعِهِما**» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ أي الناس أفضل؟ قال: «**كل مخموم القلب، صدوق اللسان**» قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «**هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل، ولا حسد**» رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

عن عبادة بن الصامت، قال النبي ﷺ: «**اضْمَنُوا لي ستًّا منْ أنفسِكُمْ أضمَنْ لكمُ الجنةَ؛ اصْدُقوا إذا حدثْتُم، وأوْفُوا إذا وعدْتُم، وأدُّوا إذا ائتُمِنْتُم، واحْفَظوا فروجَكُمْ، وغُضُّوا أبصارَكمْ، وكُفُّوا أيديَكُم**» رواه السيوطي في الجامع الصغير.

عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «**دع ما يَريبك إلى ما لا يَريبك؛ فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة**» رواه الترمذي.

عن علي ﷺ، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس صدراً، وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أرَ قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم»

كان الرسول ﷺ أصدق الناس وأبرهم وأكملهم علمًا وعملًا وإيمانًا وإيقانًا، معروفًا بالصدق في قومه، لا يشك في ذلك أحد منهم، بحيث لا يُدْعى بينهم إلا بالأمين محمد؛ ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن تلك المسائل التي سألها من صفة رسول الله ﷺ كان فيما قال له: «أوَ كنتم تتَّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا. فقال هرقل: فما كان ليَدع الكذب على الناس ويذهب فيكذب على الله عز وجل. ذكره البخاري ومسلم. وعن أبي سفيانَ صَخرِ بنِ حربٍ في حديثه الطويلِ في قصةِ هِرَقْلَ، قَالَ هِرقلُ: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ، يعني النَّبيّ ﷺ، قَالَ أبو سفيانَ: قُلْتُ: يقولُ: «اعْبُدُوا اللهَ وَحدَهُ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، ويَأْمُرُنَا بالصَلاةِ، وَالصِّدْقِ، والعَفَافِ، وَالصِّلَةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

قال المسور بن مخرمة قلت لأبي جهل -وكان خالي: يا خال، هل كنتم تتهمون محمدًا بالكذب قبل أن يقول مقالته؟ فقال: والله يا ابن أختي، لقد كان محمد وهو شاب يُدعى فينا الأمين، فلما وخطه الشيب لم يكن ليكذب. قلت: يا خال، فلمَ لا تتبعونه؟ فقال: يا ابن أختي، تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، فلما تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، أي متساويين، قالوا: منا نبي. فمتى نأتيهم بهذه؟، أو كما قال. ذكره ابن القيم في جلاء الأفهام.

وقد روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ صعِد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي - لبطون قريش - حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أنَّ خيلًا بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مُصدقيَّ؟**» قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلا صدقًا. قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**». فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ ﴾ رواه البخاري. ■

وكان ﷺ أشجع الناس

ينبغي على المؤمن الحق أن يتحلى بقوة الإرادة وشدة العزم مستقبلًا أموره الحياتية بشجاعة تنبثق عن إيمانٍ ثابت ويقين راسخ بعون الله له، سواء أكان ذلك في الشدة أم الرخاء، ولنا في شجاعة وإقدام الرسول ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة، فقد كان أشجع الخلق، وأقدرهم عزيمة، وأقواهم إرادة...

فمن نماذج شجاعته ﷺ وقوفه بجوار المظلوم في وجه الظالم، بالرغم من قسوة وعداوة هذا الظالم لرسول الله ولدين الله، وقد حدث ذلك الموقف قبل الهجرة من مكة حيث العداوة والإيذاء لرسول الله ﷺ من قومه بلغ ذروته، في حين أن الظالم المقصود (أبو جهل) كان لديه من القوة والمنعة في قومه بحيث لا يستطيع الغريب النجاة من ظلمه. يُروى أن رجلًا من (إراش) قدم إلى مكة ومعه إبل يتاجر فيها، فاشتراها منه أبو جهل – عدو الله ورسوله - ثم ماطله في ثمنها، فاستغاث الرجل بالناس، وطلب العون لرد الظلم عنه فلم يجد من يُغيثه، وأشار عليه جماعة من قريش شهدوا الموقف أن يذهب إلى رسول الله ﷺ ليعينه، وما فعلوا ذلك إلا استهزاءً، فهم يعلمون ما بين الرسول ﷺوبين أبي جهل من عداوة، فذهب الرجل إلى الرسول ﷺ، فقال: «يا عبد الله، إنَّ أبا الحكم بن هشام قد غَلَبَني على حقٍّ لي قِبَلَه، وأنا رجل غريب، ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدِّيني عليه، يأخذ لي حَقِّي منه، فأشاروا لي إليك، فَخُذ لي حَقِّي منه، يرحمك الله. قال: انطلقْ إليه، وقام معه رسول الله ﷺ، فلمَّا رأَوه قام معه، قالوا لرجل ممَّن معهم: اتبعه، فانظر ماذا يصنع؟ قال: وخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه، «فضرب عليه بابه»، فقال: من هذا؟ قال: «محمَّد، فاخرج إليّ»، فخرج إليه، وما في وجهه من رائحة، قد انتقع لونه، فقال: «أعط هذا الرَّجل حقَّه». قال: نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذي له. قال: فدخل، فخرج إليه بحقِّه، فدفعه إليه. قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للإرَاشِي: «اِلْحَقْ بشأنك». فأقبل الإرَاشِي حتى وقف على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله خيرًا، فقد والله أخذ لي حَقِّي...» (إلى آخر الحديث كما في سيرة ابن هشام:١/٨٣٩).

أما عن شجاعته صلوات ربي وسلامه عليه في ميدان القتال، فيقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كنَّا إذا احْمَرَّ البأسُ، ولقيَ القومُ القومَ، اتَّقَينا برسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، فما يَكونُ منَّا أحدٌ أدنى مِنَ القومِ منهُ» (مسند أحمد:٢/٣٤٣). والمشهور أن الجُند يحمي قائده حفاظًا على حياته لا أن يتقي به! ولكن شجاعة المصطفى ﷺ جعلته دائمًا هو الأقرب للعدو.

ومن الأمثلة على شجاعته صلوات ربي عليه عندما تعرض أهله وأصحابه لخطر، يقول في ذلك أنس بن مالك رضي الله عنه: «كانَ أحسنَ النَّاسِ، وَكانَ أجودَ النَّاسِ، وَكانَ أشجعَ النَّاسِ، ولقد فزِعَ أَهلُ المدينةِ ليلةً فانطلقوا قِبَلَ الصَّوتِ فتلقَّاهم رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ وقد سبقَهم إلى الصَّوتِ وَهوَ على فرسٍ لأبي طلحةَ عَرِيٍ ما عليْهِ سرجٌ في عنقِهِ السَّيفُ وَهوَ يقولُ: **«يا أيُّها النَّاسُ لَن تُراعوا»** يردُّهم، ثمَّ قالَ للفرَسِ: **«وجدناهُ بَحرًا»** -أو **«إنَّهُ لبَحرٌ»**» (صحيح ابن ماجة:٢٢٥٤). وهنا نجده صلوات ربي وسلامه عليه أول من يستطلع الأمر ويهدئ من روع القوم ويأمرهم بالسكينة وعدم الخوف، بل أنه يداعب الفرس ويصفه بسرعة الحركة... وحادثة أخرى تتجلى فيها الشجاعة بأبهى صورها عندما كان الرسول ﷺ مع أصحابه في إحدى الغزوات ناحية نجد، فإذا بهم في وادٍ كثير الشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، فعلَّق سيفه بغصن من أغصانها، ثم تفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر؛ فإذا برجل من الأعراب يتسلل خفية تجاه رسول الله ﷺ وهو نائم تحت الشجرة، فيأخذ السيف المعلق، فاستيقظ الرسول ﷺ فإذا بالرجل واقف عند رأسه ﷺ ممسكًا بالسيف في يده.. والرسول ﷺ أعزل وقد تفرق عنه أصحابه في الوادي ولا يشعر به أحد، وإذا بالرجل يقترب من الرسول ﷺ وقد ظن أنه أدرك بُغيته، فالمواجهة بنظره غير متكافئة بين مسلح ونائم أعزل! ثم قال الرجل: من يمنعك مني يا محمد؟! فلم تظهر عليه ﷺ أيٌّ من علامات الخوف، ولم يزِدْ عن قوله بكل ثقة: **«الله»** !! فانتبه الرجل وكأن الرد فاجأه! فكرر سؤاله مرة أخرى: من يمنعك مني؟! فثبت الرسول ﷺ ثباتًا لا يُعرف لكثيرين في ذلك الموقف، وردَّ عليه بكل شجاعة وثقة قائلًا: **«الله» !!**

فشجاعته ﷺ ناتجة من تعلق قلبه بالله وركونه إليه... هنا ارتجف الرجل وأدرك أنه ليس أمام بشر عادي؛ فسقط السيف من يده!! فأخذه رسول الله ﷺ وقال للرجل: **«من يمنعك مني؟!»** فقال الأعرابي: كن خير آخذ، فقال ﷺ: **«أتشهد أن لا إله إلا الله؟»** قال: لا!! ولكني أعاهدُك أن لا أقاتِلَكَ، ولا أكونَ مع قوم يقاتلونك، فخلَّى ﷺ سبيله، فذهب الرجل إلى أصحابه فقال: قد جئتُكم من عندِ خير الناس... وقيل: إنه أسلم ورجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير.

وقد حثَّ النبي ﷺ أمَّته على الشجاعة، وجعَلها مَجلبة لحب الله ورضاه؛ يقول ﷺ **«ثلاثة يُحبُّهم الله - عز وجلَّ - وذَكَر منهم: ورجل كان في سريَّة، فَلقوا العدوَّ، فهُزِموا، فأقبَل بصدره؛ حتى يُقتلَ، أو يَفتحَ الله له»** رواه النسائي وأحمد.

ولم يستعمل رسول الله ﷺ شجاعته هذه يومًا انتقامًا لنفسه، بل كانت لله فقط، وعن ذلك تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: **«ما ضرب رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ شيئًا قطُّ بيدِه، ولا امرأةً، ولا خادمًا، إلا أن يجاهدَ في سبيلِ اللهِ، وما نِيلَ منهُ شيءٌ قطُّ فينتقمُ من صاحبِه، إلا أن يُنتهك شيءٌ من محارمِ اللهِ فينتقمُ للهِ عزَّ وجلَّ»** رواه مسلم. ■

ربيعة بن كعب

قال ربيعةُ بن كعب: كنتُ فتىً حديثَ السنِّ لما أشرَقت نفسي بنورِ الإيمانِ، وامتلأ فؤادي بمعاني الإسلام. ولمَّا اكتَحلت عيناىَ بمرأَى رسولِ اللهِ ﷺ أوَّلَ مرة أحببتُه حبًا ملَكَ عليّ كل جارحةٍ من جوارحي، وأولعتُ به (شغفت وتعلقت به) ولعًا صَرفني عن كل ما عداه، فقلت في نفسي ذاتَ يوم: ويحكَ يا ربيعةُ، لمَ لا تجرِّدُ نفسَكَ لخِدمة رسولِ الله ﷺ؟! اعرض نَفسَكَ عليه... فإن رضِيَ بك سَعِدت بقربِه وفزت بحُبه، وحَظيت بخيري الدنيا والآخرة. ثم ما لبثت أن عرضتُ نفسي على رسولِ اللهِ ﷺ ورجوتُه أن يقبلَني في خدمته، فلم يخيِّب رجائي، ورضيَ بي أن أكونَ خادمًا له، فصِرت منذ ذلك اليوم ألزَمَ للنبي الكريمِ من ظِله، أسير معه أينما سار، وأدورُ في فَلَكِه كَيفما دار، فما رمى بطرفِهِ مرة نحوي إلا مثُلتُ أقف بين يديه، وما تَشوَّف (تطلَّع) لحاجةٍ من حاجاتِه إلا وجَدني مسرعًا في قضائها، وكنتُ أخدمُه نهارَه كلَّه، فإذا انقَضى النهارُ وصلى العشاءَ الأخيرةَ وأوى إلى بيته أهِمُّ بالانصراف؛ لكني ما ألبَثُ أن أقول في نفسي: إلى أين تمضي يا ربيعةُ؟! فَلعَلَّها تعرضُ لرسول الله ﷺ حاجةٌ في الليلِ. فأجلِسُ على بابِه ولا أتحوَّلُ عن عتبةِ بيتِهِ.

وقد كانَ رسولُ الله ﷺ يقطعُ ليلَه قائمًا يُصلي؛ فربَّما سمعته يَقرأُ بفاتحة الكتاب؛ فما يزال يُكررُها هزيعًا (الشطر من الليل، ثلثه أو نصفه، أو جزء منه) من الليل، حتى أمَلَّ فأَترُكَه، أو تغلبني عيناي فأنام. وربما سمعتُه يقول: (سَمِعَ الله لِمن حَمِدَه) فما يزالُ يرددها زمنًا أطوَلَ من ترديده لفاتحةِ الكتاب.

وقد كانَ من عادة رسولِ اللهِ ﷺ أنه ما صنع له أحدٌ معروفًا إلا أحَبَ أن يجازيَه عليه بما هو أجلُّ مِنه، وقد أحبَّ أن يجازيني على خدمتي له، فأقبَلَ عليَّ ذات يوم وقال: «**يا ربيعةُ بنُ كعبٍ**»، فقلت: لبيك يا رسولَ الله وسعديك. فقال: «**سلني شيئًا أعطِه لك**»، فرويتُ (فكرت قليلًا) قليلًا ثم قلت: أمهِلني يا رسولَ الله، لأنظرَ فيما أطلبُهُ منك ثم أعلمَك، فقال: «**لا بأس عليك**»، وكنت يومئذ شابًا فقيرًا لا أهل لي ولا مال ولا سكن، وإنما كنت آوي إلى صُفَّة المسجد (مكان في مسجد رسول الله كان يأوي إليه الفقراء الذين لا بيوت لهم وكانوا يُدعون أهل الصُفَّة) مع أمثالي من فقراء المسلمين، وكان الناس يدعوننا بضيوف الإسلام، فإذا أتى أحد المسلمين بصدقة

إلى رسول الله ﷺ بعث بها كلها إلينا، فإذا أهدى له أحدٌ هديةَ أخذ منها شيئًا، وجعل باقيها لنا.

فحدثتني نفسي أن أطلب من رسول الله شيئًا من خير الدنيا، أغتني به من فقر، وأغدو كالآخرين ذا مالٍ وزوجٍ وولدٍ؛ لكني ما لبِثتُ أن قلتُ: تبًّا لك يا ربيعة بنُ كعب، إن الدنيا زائلة فانية، وإنَّ لك فيها رزقًا كفلهُ الله عز وجل، فلا بُدَّ أن يأتيك، والرسول ﷺ في مَنزلةٍ عند ربه لا يُردُّ له معها طلبٌ، فاطلب منه أن يسألَ الله لك من فضلِ الآخرة، فطابَتْ نفسي لذلك، واستراحتْ له. ثم جئتُ إلى الرسول ﷺ فقال: «**ما تقولُ يا ربيعة ؟!**»، فقلت: يا رسول الله، أسألكَ أن تدعوَ ليَ الله تعالى أن يَجعلني رفيقًا لك في الجنة. فقال: «**مَن أوصاك بذلك؟**»، فقلت: لا واللهِ ما أوصاني به أحدٌ، ولكنكَ حين قلت لي: سَلنِي أعطِك، حدثتني نفسي أن أسألك شيئًا من خيرِ الدنيا، ثم ما لبثتُ أن هُديتُ إلى إيثار الباقيةِ على الفانيةِ، فسألتُك أن تدعُوَ الله لي بأن أكون رفيقك في الجنة. فصمتَ رسول الله طويلًا، ثم قال: «**أوَغيرُ ذلك يا ربيعة؟**» فقلت: كلا يا رسول الله، فما أعْدِلُ بما سألتك شيئًا. فقال: «**إذًا، أعنِّي على نفسك بكثرةِ السجود**»، فجعلت أدأبُ في العبادة لأحظى بمرافقةِ رسول الله ﷺ في الجنة كما حظيتُ بخدمته وصُحبته في الدنيا.

ثم إنه لم يمضِ على ذلك وقتٌ طويلٌ حتى ناداني رسول الله صلى الله عليه وقال: «**ألا تتزوَّجُ يا ربيعة؟!**». فقلت: ما أحبُّ أن يَشغلني شيءٌ عن خدمتِك يا رسول الله. ثم إنه ليسَ عندي ما أمهرُ به الزوجة، ولا ما أقيمُ حياتها به، فسكتَ. ثم رآني ثانية وقال: «**ألا تتزوَّجُ يا ربيعة؟!**»، فأجبته بمثلِ ما قلتُ له في المرَّة السابقة.

لكني ما إن خَلوت إلى نفسي حتى ندمتُ على ما كان مني، وقلت: وَيحكَ يا ربيعة... واللهِ، إن النبيَّ لأعلمُ منك بما يصلحُ لك في دينك ودنياك، وأعرفُ منك بما عِندك. واللهِ، لئِنْ دعاني رسول الله ﷺ بعدَ هذه المرة إلى الزواجِ لأجيبنَّه. لم يمضِ على ذلك طويلُ وقتٍ حتى قال لي رسول الله: «ألا تتزوجُ يا ربيعة ؟!».

فقلت: بَلى يا رسول الله... ولكنْ من يُزوجُني، وأنا كما تعلم؟!، فقال: «**انطلق إلى آل فلانٍ، وقل لهم: إنَّ رسول الله يأمرُكم أن تزوجوني فتاتكم فلانَة**». فأتيتهم على استحياءٍ وقلتُ لهم: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليكم لتزوجوني فتاتكم فلانَة. فقالوا: فلانة؟! فقال: نعم. فقالوا: مرحبًا برسول الله، ومرحبًا برسول رسولِ الله.

والله لا يرجعُ رسولُ رسولِ الله إلا بحاجته، وعقدوا لي عليها. فأتيتُ النبي صلوات الله وسلامه عليه وقلت: يا رسول الله، لقد جِئتُ من عند خير بيتٍ، صَدَّقوني، ورحَّبوا بي، وعقدوا لي على ابنتهم، فمن أين آتيهم بالمَهر؟!

فاستدعى الرسول ﷺ بُريدة بن الخصيبِ (كان سيدًا من ساداتِ قومي بني أسلمَ) وقال له: «يا بُريدة، اِجمع لربيعة وزن نواةٍ ذهبًا»، فجمعوها لي.

فقال لي الرسول ﷺ: «**اذهبْ بهذا إليهم، وقل لهم: هذا صداقُ ابنتكم**»، فأتيتهُمْ، ودفعته إليهم فقبلوه، ورضُوه، وقالوا: كثيرٌ طيبٌ... فأتيتُ رسول الله ﷺ وقلت: ما رأيتُ قومًا قطُّ أكرمَ منهم؛ فلقد رضُوا ما أعطيتهم (على قِلتِه) وقالوا: كثيرٌ طيبٌ. فمن أين لي ما أولِمُ به يا رسول الله؟! فقال الرسول ﷺ لبُريدة: «**اِجمعوا لربيعة ثمَن كبشٍ**»، فابتاعوا لي كبشًا عظيمًا سمينًا. فقال لي الرسول ﷺ: «**اذهبْ إلى عائشة، وقل لها أن تدفعَ لك ما عندها من الشعير**»، فأتيتها فقالت: إليك (أي خذ) المكتل (زنبيل من خوصٍ) ففيه سبعُ آصُعٍ (جمع صاعٍ) شعيرٍ، لا والله، ما عندنا طعامٌ غيرُه. فانطلقتُ بالكبشِ والشعير إلى أهل زوجَتي فقالوا: أما الشعيرُ فنحنُ نعدّه. وأما الكبشُ فمُر أصحابك أن يُعدوه لك. فأخذتُ الكبش (أنا وناسٌ من أسلمَ) فذبَحناه وسَلخناه وطبخناه فأصبح عندنا خبزٌ ولحمٌ. فأولمتُ ودعوتُ رسول الله ﷺ فأجابَ دعوتي.

ثم إنَّ رسول الله منحني أرضًا إلى جانبِ أرضٍ لأبي بكر، فدخلتْ عليَّ الدنيا، حتى إني اختلفتُ مع أبي بكر على نخلةٍ فقلت: هي في أرضي، فقال: بل هي في أرضي، فنازعتهُ، فأسمعني كلمةً كرِهتها. فلما بَدرَت منه الكلمة ندِمَ عليها وقال: يا ربيعة رُدَّ عليَّ مثلها حتى يكون قِصاص (عقوبة لي). فقلت: لا والله لا أفعَلُ. فقال: إذًا آتي رسول الله وأشكو إليه امتناعكَ عن الاقتصاصِ مني. وانطلق إلى النبيِّ فمَضيتُ في أثرِه، فتبعني قومي بنو أسلم وقالوا: هو الذي بدَأ بِكَ فشتمك، ثم يسبقكُ إلى رسول الله ﷺ فيشكوك؟!!. فالتفتُّ إليهم وقلتُ: وَيحكمْ أتدرون من هذا؟! هذا الصِّدِّيق، وذو شيبةِ المسلمين (صاحب شيبة المسلمين وشيخهم) ارجِعوا قبل أن يلتفتَ فيراكم، فيظنَّ أنكم إنما جئتم لتعينوني عليه فيغضب، فيأتي رسولَ الله فيغضب النبيُّ لغضبه، فيغضب الله لغضبهما فيهلك ربيعة؛ فرَجَعوا. ثم أتى أبو بكرٍ النبي ﷺ، وحدّثه الحديث كما كان، فرَفع الرسول رأسه إليَّ وقال: «يا ربيعة مالك وللصِّدِّيق؟!». فقلت: يا رسول الله، أرادَ مني أن أقولَ له كما قال لي، فلم أفعل. فقال ﷺ: «**نعم لا تقل له كما قال لك؛ ولكن قل: غفرَ الله لأبي بكر**». فقلت له: غفرَ الله لك يا أبا بكر.

فمضى وعيناه تفيضانِ من الدمع، وهو يقول: جَزاكَ اللهُ عني خيرًا يا ربيعة بن كعب... جزاكَ اللهُ عني خيرًا يا ربيعة بن كعب. ■

محاريب الفكر

أحمد يحيى جبريل

أنا لا أرى إلَا فصاحة قومِهِ ... بجميل فكرٍ قد ينير ذرى القِممْ

إنَ السلامَةَ لا تطيق هَجيرهُ ... بملاعب ِالأفكارِ عند الملتَحمْ

تلك المنارةُ في غيوم ظلامهم ... حبست كما يبدو السجين بلا قَلَمْ

وتوحدَت أفهامنا بمصاعبٍ ... تشدو إلى تحرير عقل المتَهمْ

هي فكركُم وعقيدةٌ تبدو كما ... تبدو الحضارةُ في منارتها العلَم

وتروحُ تُمتع ناظريَّ بنورها ... وسبيلُ عزٍ في دياجير الظُلَم

هي فكرةُ التحرير من أصفادنا ... هي فجرنا الآتي بشمس المُعتصم

هيَ قوة الإسلام فوق ربوعنا ... هي زادنا المحبوبُ في رحم الذّمم

فخلافَة الرحمن تُسعد قومَنا ... وتعيد عزاً للبلاد وللقَسم

هي صرخةٌ قد أُشربت من فكرنا ... ذرراً تصاغُ على صفيحٍ من رحَم

ويغَردُ العزُ الجميل بحزبنا (ببيتنا) ... ليضيء فكراً في محاريب النِعَم

عقد «المؤتمر المسيحي العربي الأول» في باريس لمواجهة الأكثرية العربية السنية

اختتمت فعاليات «المؤتمر المسيحي العربي الأول» في ٢٠١٩/١١/٢٣م، في فندق الميريديان في العاصمة الفرنسية باريس، بحضور ١٠٠ شخصية ثقافية واجتماعية وسياسية وإعلامية من مختلف الدول العربية. وعُقد المؤتمر لمعالجة "القلق الوجودي» لدى المسيحيين العرب، مؤكدًا مشروعيته بعد استهدافهم لكونهم مسيحيين، ولأنهم أقلية دينية في بلدانهم، وأكد المؤتمر أن العنف طال جميع الأقليات، وهدد وجود الدولة الوطنية في سوريا والعراق، ودفع بعض المسيحيين للمناداة بحملات أجنبية، والدعوة لتحالف الأقليات الدينية **لمواجهة الأكثرية العربية السنية.** وناقش المؤتمرون في جلسة عامة وثلاث جلسات متخصصة إشكاليات الوجود المسيحي في المنطقة العربية، والتي تجسدت بثلاث مشكلات؛ العنف، والتطرف، والإرهاب. وراوحت خيارات المسيحيين في المنطقة بين أطروحتين: الانطواء على الذات الطائفية، وتحصينها بتحالف أقليات في المنطقة **بوجه الأكثرية العربية السنية**، بالإضافة إلى التماس حمايات خارجية. والثانية هي اندماج المسيحيين في بلدانهم وحمل قضاياها بالشراكة مع مواطنيهم، بمعزل عن مفهوم أكثريات وأقليات عددية. واستغرقت التحضيرات للمؤتمر أكثر من ستة أشهر، ويعتقد المجتمعون أن التحدي الحقيقي الماثل اليوم أمام المسيحيين في المنطقة العربية إنما يتلخص في الإجابة على «كيف نواصل العيش مع شركائنا في الحياة والمصير متساوين ومختلفين؟»، ومواجهة "تحالف أقليات بوجه أكثرية بدلًا من تحالف القيم الإنسانية الجامعة، أو التماس حمايات خارجية بدلًا من حماية بيئتنا الإنسانية ومناعتنا الذاتية أو إشهار هوية مشرقية بوجه الهوية العربية"

وعن عقده في فرنسا، قال السياسي السوري المعارض ميشيل كيلو: «ننظم مؤتمرنا في فرنسا لأنها أفضل مكان لذلك الاجتماع... ولا ننسى أن المؤتمرات التي عقدت في باريس من أهم المؤتمرات التي قررت مصير العرب مثل المؤتمر العربي الأول ١٩١٣، وهذا هو مؤتمرنا الأول وليس الأخير». أما السياسي السوري جورج صبرا فقد قال عن مشاركته في المؤتمر: «شاركت في المؤتمر بصفتي سوريًا أولًا ومسيحيًا ثانيًا... فواجبنا كنخب وطنية في هذه البلدان مسيحيين ومسلمين أن نعلن أن هذه البلاد هي بلاد المسيحيين كما هي بلاد المسلمين». أما السياسي اللبناني فارس سعيد، فقد أكد أن المؤتمر سيخرج بهيئة متابعة لأول مرة، هيئة ليست محلية بل عربية، تفكر وتناقش وتحلل الأوضاع وتقترح كيف يمكن الانتقال في العالم العربي إلى مرحلة نتلمس معالمهما. وكرر أن «خيارنا هو خيار الدولة المدنية التي تؤمن الحقوق للمواطن الفرد».

الوعي: يأتي عقد هذا المؤتمر بعد عقد مؤتمر «اللقاء المشرقي" الذي انعقد مؤخراً في بيروت، والذي شمل ممثلين لأقليات مسيحية وكردية وأيزيدية وشيعة وعلويين وغيرهم. وهذان المؤتمران يأتيان لمواجهة **الأكثرية العربية السنية** كما صرحوا... وحلف الأقليات هذا يتجدد اليوم، فقد كان من عوامل التدخل الأجنبي لهدم الدولة الإسلامية من قبل، كما ذكر ميشال كيلو حين قال عن مؤتمر باريس سنة ١٩١٣م أنه من أهم المؤتمرات التي قررت مصير العرب. وهو الآن يأتي من أجل إيجاد الذريعة للتدخل الأجنبي لضرب قيام دولة إسلامية يتوقعون بكل قوة قرب قيامها. والله من ورائهم محيط. ■

«الثورات العربية... ما العقبات التي تعترض تطلعاتها؟ وماذا يقول التاريخ عن مآلاتها؟»

هذا عنوان لمقال مشترك بين الكاتبين الفرنسيين الخبيرين في شؤون الشرق الأوسط وشمال أفريقيا آلان غريش وجان بيير سيريني نشر بموقع أوريان ٢١ الفرنسي.

بداية، يلفت الكاتبان إلى أن العالم العربي يشهد حاليًا الموجة الثانية من الاحتجاجات والانتفاضات التي كانت موجتها الأولى بدأت بتونس في ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٠م... ثم يوضحان كيف أن الثورة المضادة حشدت على أثر هذا الحراك قواتها، فجمعت بين القمع وإغداق الأموال وتقديم التنازلات الشكلية، وكيف أن المنظومة القديمة أظهرت قدرة على التأقلم والمقاومة. ويقصد بذلك أنه تم استيعاب هذه الثورات وإفشالها. وساورت البعضُ الأوهامَ، ولا سيما في الغرب، بعودة «الاستقرار» ولكن ذلك تبدد بعد حين، إذ اشتعلت من جديد نيران الثورة في عام ٢٠١٩م، في السودان والجزائر والعراق ولبنان وحتى في مصر... ومن ثم يلفت الكاتبان إلى أن دوافع الموجة الثانية لم تختلف عن دوافع الموجة التي سبقتها والتي تتلخص في خضوع هذه الشعوب لحكومات استبدادية ومعاناتها من أوضاع اجتماعية لا تطاق، ورافقه تسوير الحكام أنفسَهم بجهاز أمني متربص في كل مكان، وتضييق كبير على الحريات... ويذكران أن الحَراك الجديد قد استخلص بعض العبر من الماضي، فرفض العَسْكرة ونأى بنفسه عن محاولات شق صفوفه على أساس طائفي... ولكنه وجد نفسه أنه يصطدم بعقبة كبرى، ألا وهو ابتكار نظام اقتصادي اجتماعي جديد... ثم انتقلا إلى ذكر النقطة المفصلية التي أدت إلى إيجاد هذه الثورات وهو دافع خارجي دولي يتجلى بتأثير العولمة وانتصار الليبرالية الاقتصادية الجديدة (النيوليبرالية) المرتكز على التجارة الحرة وخطط صندوق النقد الدولي طريقًا وحيدًا للتنمية. والتي تُفرض على البلدان دون أية شفقة... ساعده دافع داخلي وهو أن القطاع الخاص لم يضطلع بمهام القطاع العام، بل استثمر كل ما نهبه في الملاذات الضريبية... كل هذا كان له أثر فادح على الشعوب، وجعل الملايين من الشباب من ذوي المؤهلات المهنية يهاجرون... وأخيراً يذكران أنه عندما هبّت الموجة الثانية من الثورات العربية، كانت أنظمة الحكم قد ازدادت وهنًا، وبات التشكيك يطال الطبقة السياسية بأسرها حيث كل قطب فيها متواطئ مع الآخرين، وهو تواطؤ كان واضحًا في لبنان والعراق بين كل الأحزاب التي غدت غنية... أم عن الحل فيرى الكاتبان أنه لن تكون هناك عودة للاستقرار دون تغييرات سياسية عميقة. فالإبقاء على النخب الحالية في الحكم يعني انتشار الفوضى العارمة التي تستفيد منها أكثر التنظيمات تطرفًا: القاعدة أو الدولة الإسلامية أو أي حركة أخرى لم تظهر بعد إلى الوجود.. والحل هو بسلوك طريق آخر يستند إلى ثقافة تعددية جديدة تبصر النور حاليًا، وإلى تنمية اقتصادية وطنية تلبي احتياجات الشعوب.

الوعي: يعترف الكاتبان هنا أن سبب تفجر هذه الثورات هو سياسة الدول الكبرى التي اعتمدت النموذج النيوليبرالي المرتكز على التجارة الحرة الذي أثقل بديون الربوية كاهل الدول ورهن مقدرات البلاد، وأفقر الشعوب، وجعل التنمية تنعدم، والبنى التحتية تهترئ، ومستوى المعيشة يتدنى بشدة... ويعترفان ضمنًا بأن هذه الثورات هي موجهة في الحقيقة إلى سياسة الغرب الاستعمارية وصنائعه من الحكام الذين كانوا أدوات هذا الغرب القذرة في النهب والإفقار والإضلال. ■